منارات الحبّ

د. حنان لاشين

الطبعة الثالثة

دار البشير
للثقافة والعلوم


منارات الحبّ



اسم الكتاب: منارات الحبّ

التأليف: د. حنان لاشين (أم البنين)

موضوع الكتاب: إجتماعى

عدد الصفحات: 176 صفحة

عدد الملازم: 11 ملزمة

مقاس الكتاب: 14 × 20

عدد الطبعات: الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 1777 / 2016

الترقيم الدولي: ISBN : 978 - 977 - 278 - 531 - 5

التوزيع والنشر

دار البشير للثقافة والعلوم

Darelbasheer@hotmail.com

Darelbasheeralla@gmail.com

ت: 0115280653 - 01012355714

1437 هـ
2016م

منارات الحبّ

د.حنان لاشين

(أم البنين)



«ومِن النّاس مَن لا تَصحُّ مَحبّتُه إلا بَعدَ طول المُخافتةِ وكثيرِ المشاهدة وتمادي الأنس، وهذا الذي يُوشِكُ أن يدوم ويَثْبُتُ ولا يحيكُ فيهِ مُرُّ الليالي، فما دخل عسيرًا لم يخرج يسيرًا»

ابن حزم الأندلسي

من كتاب

«طوق الحمامة في الألفة والألاف»

إهداء

إلى من يبحث عن «كلّه» الآخر!

١
سرٌّ خطير!

سرٌّ خطير جدًّا ذاك الذي تعرفه هي، سحرٌ ربما سحرت به زوجها! لماذا يحبّها كل هذا الحب؟ ولم هي تعشقه بتلك الطريقة المجنونة؟ دعونا نتأمّل حالهما قليلًا.. إن غاب عنها فهو حاضر، وإن غابت عنه فهي مخبوءة في صدره! عجيب أمرهما! من أين هذا الحبّ غير المشروط؟ وما سببه؟ حساب مفتوح!! وشيكٌ موقع على بياضٍ!!.. ولسان حالها يقول:

- افعل ما شئت، وقل ما شئت، وتصرف كما يحلو لك طالما أنك لا تغضب الله.. فلن أغضب منك أبدًا، مهما قلت فأنا أعلم أنك لا تقصد إلّا المعنى الطيب، أمّا المعنى الآخر فقد استبعدته تمامًا من خاطري؛ لأنني أعرفك أكثر من نفسك. ثقة وحسن ظن، ويقين أن الطرف الآخر يحبّك بشدّة ولن يخونك أبدًا، ولن يطعنك من الخلف.

- إنّ زوجها ينجذب إليها كما ينجذب الحديد إلى المغناطيس!، رغم صلابته وخشونة طباعه جذبته إليها فصارا كقطعة واحدة! أتدركون كيف هو هذا الشعور؟، أنت مطمئن، أنت مستقر، أنت مرتاح البال، وحتى لو ضاقت الدنيا في وجهك أنت تعلم أن لديك حبيبك. وحتى لو كرهك الجميع لن تحزن لأن لديك ارتواءً نفسيًّا داخليًّا وإشباعًا روحانيًّا لأنه يحبك. إن خفت فحضنه مأواك، وصوته الحاني سيزيل فورًا تلك الارتجافة التي تجتاح صدرك، وستسكن وتطمئن؛ لأنك تحبّه في الله. نعم، ذاك هو السرّ.
- هل جرّبت أن تحب زوجتك في الله؟ لوجهه تعالى وحده، وبنفس صافية كالحليب الحلو البارد؟ تسأل عنها إن طال صمتها، تتوجع لوجعها، تفرح لفرحها، تجوع معها، وتشبع معها، وتفرح معها، وتغفر لها. وتؤثرها على نفسك؛ فتقدم لها ما تشتهيه وتتمناه من قبل أن تطلبه. تنصحها في الله برفق لتطيعه سبحانه، تعينها على الطاعة، وتصبّرها على البلاء، وتمدحها إن أحسنت؟.

- هل جرّبتِ أن تحبي زوجك في الله؟ ابتغاء مرضاته وحده وبنفس رائقة كالماء الحلو العذب؟ تحسنين الظنّ به دائمًا، تشكرين له حسن خلقه، تبتعدين معه عن الشبهات، تصليان معًا، وتسجدان معًا، وتصومان معًا، وتبكيان من خشية الله معًا. تتوددين وتتجملين له ليتعفف بك، وتكونين له الحبيبة، والصديقة، والابنة، والأم.
- إنّ أرقى أنواع المحبة هي المحبة في الله، ألفة وترابط وشوق وجداني واتفاق في غاية وبرّ تضعه عند أخيك فما بالك لو كان شريك حياتك!، رصيد روحاني إن احتجت أن ترجع إليه في أي وقت ستجد موفورًا منه لأنه غير مشروط. فالحب لجاه فقط أو جمال فقط؛ يزول بزوال هذا السبب، أمّا الحبّ في الله فيدوم حتى اللقاء على منابر من نورٍ تحت ظلّ العرش، وما أجمل أن تجتمع بحبيبك وكلّك الآخر تحت ظلّ عرش الرحمن. يا لها من مكانة، ويا لها من روعة، ويا له من شرف.

- ولن يكون الحبّ في الله إلّا لو كان الاختيار بما يرضي الله، ولن تنبت زهرة الحب الطيّب إلا إذا غرست في تربة طاهرة بقلب نقي أبيض، قلب ممتلئ بالإيمان. الإيمان يشبع النفس، ويسلي المحزون، ويقوي الضعيف، وفيه الأُنس، وبحضوره في القلب يتحول الحزن إلى أجرٍ وثواب.
- الارتقاء بالنفس والروح يرفعك إلى مكانة حيث تتعارف على شريكك، وتوفق للقاء به بفضلٍ من الله، قال أحد الصالحين:

(أرواح المؤمنين تتعارف)

وبعد الإيمان، والاختيار الصحيح، فهل هذا يكفي وحده؟ هل يكفي إيمان الزوجين ليسعدا معًا تحت سقف بيتٍ واحد أم لا؟ الإيمان مهمٌّ فهو وتدٌ يثبّت الخيمة الزوجية، ورباطٌ يقوّي العلاقة بين الطرفين لا ريب، ولكن لا بدّ أن ننتبه لعوامل أخرى فنحن بشر؛ أوّلها تعزيز التواصل العاطفي بين الزوجين، احترام مشاعر الآخر، فزوجتك تحتاجك وأنت تحتاجها، أنت تختلف عنها فلا تعاملها كأنّها ذكر!، وأنتِ لا تعامليه كأنّه أنثى!

* صورتك مهمة له، احترامك لرأيه مهم له، انتظارك لعودته مهم له، توقيره أمام أهلك مهم له، عدم إصرارك على فعل شيء يكرهه إكرامًا لنفسِه مهم له.

• اهتمامُكَ بمشاعرها مهمّ لها، إظهار إعجابك بما تفعله ولو كان بسيطًا مهم لها، إخبارك لها أنّها حبيبتك عشرات المرّات طوال اليوم مهمّ جدًّا، وذاك أمرٌ يظنّ الرجال أنّه ليس ضروريًّا لكنّه في الحقيقة يؤرق الزوجات فتراهنّ يتساءلن كثيرًا في أنفسهن "هل ما زال زوجي يحبّني أم لا؟" فاقطع عليها استرسالها في تلك الهواجس، وأكّد لها حبّك بالكلمة، والنظرة، والتربيتة على الكتف، والحضن الأبوي الذي تحتاجه الزوجة حين تتراكم عليها هموم البيت والأبناء فأنت زوج وأب لها، فلا تنس أنّها تركت أبًا حنونًا، وأخًا ودودًا، وبيتًا دافئًا كانت تتدلل فيه وانتقلت وحيدة تحت جناحك فكن لها كلّ هؤلاء معًا.

ولا تغفلا- يا رعاكما الله- عن طريقة الحوار بينكما فلا يحسن أن يكون الحديث من طرف واحد فقط والآخر ينصت في صمت! مجرّد وعاء تُفرغ فيه الكلمات؛ لأنّ هذا سيشعر من يقوم بدور المتحدّث بالنفور، حاول أن تتفاعل مع شريكك وهو يحدّثك.. تواصل. تستطيع أن تكون عالمًا في أيّ مجال، أو طبيبًا، أو مهندسًا، أو محاميًا وتتحدث مع زوجتك في أمور تخص عملك بطريقة تجعلها تشعر أنّك تقدرها وإن كانت لا تفهم مصطلحًا واحدًا مما تقوله.لكنّها طريقتك الذكية في الحوار.

وتستطيعين أن تتحدثي مع زوجك الذي لا يهتم إطلاقًا بالقراءة والكتب على عكسك أنتِ المثقفة الواسعة الاطّلاع عمّا قرأتِه دون أن تشعريه أنّه ضيّق الأفق، وحتى الحديث عن الأشياء التافهة أحيانًا يُعدّ توددًا لو أنصتّ لمجرد أنّ من يحادثك هو..حبيبك.

• لا تقطعوا حبال الودّ واعقدوها بالحديث الطيّب وتخيروا اللفظ الجميل. لا تقفوا على كلّ كلمة وكأنّها محاكمة، عند اتخاذ القرارات لا بأس بالشورى وإن كان القرار بيد أحدكما فهذا لا يعني تهميش الآخر تمامًا، فقد يكون رأيه أصوب، والاستشارة تعني أنّك تثق بشريكك وتظنّ به خيرًا فانتظر بعدها أثرًا جميلًا في نفسه سينعكس على علاقته بك في لحظة أخرى فلا تخسر تلك النظرة الممتنة من عينيه لأنّك وثقت به واستشرته، فتلك لحظة لها متعة إن كنت حقًّا تحبّه.

• توزيع المسئوليات يجعلها أسهل، ويتيح الفرصة لكليكما ليتقن أداء ما عليه من واجبات، فتشاركا في كلّ شيء قدر استطاعتكما، من الخطأ إلقاء المسئولية بالكامل على أحد الطرفين وإرهاقه لمجرد أنّه لا يشكو ولا يعترض، فهو إن تحمّل لعام أو اثنين أو حتى عشر سيكلّ وسيتعب وسينفجر، الحياة هموم، وبناء بيتٍ ليس أمرًا هيّنًا سهلًا، وكذا تربية الأبناء. والعمل خارج المنزل ابتلاء، فالحياة تزداد

تعقيدًا يومًا بعد يوم، فخففا عن بعضكما، واغتنما سنوات الزواج الأولى واستمتعا بالحياة رغم ما فيها من تعب وكدّ وسعي، لا تؤجلا الحياة حتى يكبر الصغار، بل استمتعا بالحياة بينما يكبر الصغار.

• لا تؤجلي خروجك مع زوجك حتى يكبر طفلكما، بل احمليه واخرجي معه، طفلك بيد ويدك الأخرى معلّقة بذراع زوجك، أو احمل أنتَ عنها صغيركما واتركها تستمتع بكفها وهي تدسّها تحت ذراعك القويّ وتسير وهي سعيدة لأنّها معك.

• إن ضاقت عليكما الظروف؛ فحسن الظنّ بالله سيوسعها عليكما، وإن صعبت الحياة؛ فالحب بينكما سيسهلها، وإن قدر الله بحكمته ابتلاءً؛ فهي الرحمة منه لا ريب. فكونا معًا تحت رحمته.

وبعد الإيمان الذي تتشرب به تلك المسميات كلّها سيأتي الحبّ، والحبُّ شيء عجيب وأحجية غريبة، وسرٌّ غامضٌ، لكنه لا يخفى على قلبٍ جعله صاحبه وقفًا لله تعالى. فاجعل قلبك من الآن وقفًا لله.

• بعض الناس يتحدثون عن الحبّ، وبعضهم يتساءلون عن حقيقة الحبّ، وبعضهم غارق في الحبّ، والبعض يفتقد الحبّ، وأمّا عن هؤلاء الذين عرفوا السرّ. فطوبى لهم.. طوبى.. طوبى.

***

منارة حبّ

الحبّ هو: أن تصوما معًا وتركعا معًا وتخشعا معًا وتبكيا من خشية الله معًا وتشتاقا لرؤية وجهه الكريم معًا ولا يتمنى أحدكما دخول الجنة إلا مع رفيق دربه.

* * *

٢
أولاد الأصول

«بنت أُصول» هكذا يصفون المرأة الوقورة التي تجبر من أمامها على احترامها، لا تتخطى الحدود، ولا تتصرف بطريقة تسيء إلى صورتها دون تصنّع؛ لأنها نشأت هكذا منذ نعومة أظافرها.

«ابن أُصول» هكذا يصفون الرجل النبيل، الشهم، صاحب المواقف الرائعة والأخلاق الحميدة.«أولاد الأصول» أيضًا هم من لا يتغيرون إن تغيرت الظروف، وهم من لا تفوتهم مناسبة سعيدة أو حزينة تخصّكَ إلّا وكانوا أوّل من يجاورونك فيها. في الحقيقة، يطلقونها أيضًا على من لديهم عادات طيّبة وطباع راقية، وهنا نتوقف.

قد يبحث الشاب عن عروس على دين، ويتجاهل أي سماتٍ أخرى، وربما لا يحاول أثناء فترة الخطبة أن يتقرّب منها فكريًّا أو يسأل عنها حتى، وربما لا يلتفت إطلاقًا لعاداتهم ومعاملاتهم في البيت. فيعيش تعيسًا بعد الزواج، ويعاني حتى تتغير وتتطبع بطباعه، أو تعتاد على طباعه دون أن تتغير وتتعايش معه.

وربما تقبل الفتاة بخاطبٍ لها؛ لأنه شيخ ويدرسُ العلم الشرعي ومشهور بصلاحه، ويكون فعلًا على دين وخلق، ولكنه أيضًا ذو شخصيّة تفتقد للحكمة ولحُسن إدارة بيت تسكنه أنثى!

* يظُنون أن الزواج حالة ملائكية من السمو والالتقاء الروحي، يتطلعون للمثالية المطلقة، وعندما تناديهم احتياجاتهم الفطرية، وتتقلب نفوسهم وأبدانهم، وتصطدم طبيعة شخصياتهم المتباينة؛ يصرخون. وذلك لأنّهم كانوا يحلّقون بعيدًا عن الواقع، ويرفعون سقف التطلعات، ويقبلون الارتباط بالمظهر، وربما بعض الجوهر يكون رائعًا جدًّا وجميلًا، وقد تكون- فعلًا- الشخصية التي قبلت أنت الزواج بها ممتازةً، ويحسدك عليها الجميع، لكنك لم تذق طعم السعادة! وذلك بسبب الطباع والسلوك، يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله:

(إن سلوك الإنسان مجموعة عادات: عادات في الأكل وفي الشرب، وفي المشي وفي اللبس، وفي أسلوب مخاطبة الناس، بها يكون الإنسان محبوبًا أو يكون مكروهًا، وبها يكون موقَّرًا محترمًا أو يكون مزدرًى محتقَرًا. وربما يكون هذا الحب وهذا الكره، وهذا التوقير وهذا التحقير، لعادة تافهة لا يأبه صاحبها لها ولا ينتبه إليها).

دعوني أطرح الأمثلة:

- فتاةٌ طيبة تتزوج من شيخٍ وطالب علم، لكنّه جاف جدًّا في مشاعره، ولم يعتد على شُكر أمّهِ وأُختهِ على أيّ لفتةٍ أو مجهودٍ بسيط في البيت، تعوَّد على الغلظة، ردوده حادة، حتى نظراته تفتقر إلى الرحمة، لا يخرج إلّا للعمل، وفي أوقات فراغه من المسجد إلى البيت، ومن البيت إلى المسجد، أولى اهتماماته طلبُ العلم الشرعي، ويلقي على كاهلها كلّ مسئوليات البيت والأبناء، ولا يفكّر حتى في الخروج معها ليرفّه عنها وعنهم، وكأنها كائنٌ مستأنسٌ محبوسٌ في البيت، فهل ستكون سعيدة؟!
- شابٌ رائعٌ يتزوج من فتاةٍ على خُلقٍ ودينٍ، حافظة للقرآن، وكأن المسك يفوح من فمها كلّما تحدثت، لكنّها لم تتعود على أن تكون أُنثى في بيت أهلها، تربَّت على الأدب والحياء، لكن الأنوثة لا. ليست رقيقة، ولا تحسن اختيار ملابسها، ولا تعرف كيف تتزين؛ فتظهر محاسنها لزوجها، أو غير نظيفةٍ، أو فظّة غليظة، أو لن تقوم بالطبخ لأن طلب العلم الشرعي أهمّ، فهل سيكون سعيدًا معها؟!



- الزوج الذي لا يهتم بنظافته الشخصية، كثير اللوم، أو العصبي الذي يُعتبر دخوله للبيت حظرًا للتجوال، حيث يخاف منه الجميع؛ لأنه كثير الصراخ بحجة أنه مرهقٌ جدًّا بسبب العمل، أو البخيل، أو الذي يسمع لشكاوى أمه من زوجته، ويسمع لشكاوى زوجته من أمّه ولا يقيّم الأمور بعقل فيسيء للاثنتين؛ فتسوء الأمور، وتزداد الفجوة بينهما اتساعًا.كلّها نماذج لرجال ربما يصلّون ويحفظون بعضًا من القرآن لكن المشكلة هنا في الأخلاق والطباع.
- الزوجة المهملة، كثيرة الشكوى، كثيرة الطلبات، الكئيبة، التي تضع رأي والدها فوق رأي زوجها، التي تغار كثيرًا وتعاقب زوجها على اهتمامه بأمه وكأنّه ارتكب جرمًا، التي لا تشكر زوجها على المعروف، ولا تغفر له إن أخطأ.كلّها نماذج لنساءٍ ربما مصليات ومحجبات أو منتقبات، لكنّها طباعٌ وأخلاق.
- تسلط الزوج الشديد وتربصه لزوجته، وكأنّها محبوسة في قفص من الممكن أن يؤدي لانهيار علاقتهما. رغبة الزوج في اقتناء زوجته وكأنّها متاع لا إرادة له ولا روح قد تقتل روحها وهي بين يديه فتعيش معه كشبح.

← كثرة لوم الزوجة لزوجها ومعاملته كابن لها تربيه؛ سبب في نفوره منها، وأحيانًا طريقتها في التوجيه وكأنّها مديرة مدرسة وهو طالب فيها تجعله يهرب.

إذًا نجاح الزواج هنا لا يتوقف فقط على التدين، هناك شيء آخر ضروري وهام، ولابد أن ننتبه له. الزواج ليس الانتقال إلى قصرٍ فوق السّحاب، الحياة فيه وردية، وخالية من المشاكل، أنت تحتاج لشريك يقويك، يتحمل ضربات الأيّام معك، يشد يدك إن سقطت، وينفض الغبار عن قدميك، ثم ينظر في عينيك ويخبرك أنك بخير وأنه معك ولن يتركك.

* لن تتركَكَ إن مررت بضائقةٍ ماديةٍ، لن يتركَكِ إن تأخرتِ في الإنجاب، لن تتركَكَ إن اضطررت إلى بيع السيّارة لسداد دين، لن يتركَكِ إن ازداد وزنك فالأمر في الحقيقةِ أنّه يحبك أنت بروحك وليس الأمر بدنًا فقط، لن تتركَكَ إن قررت أن تنتقل أُمّك لبيتك- والذي هو بيتها لأنّها أُمّك- لأنها تعلم فضلها عليك، وستتحمل وتُحسن إليها معك.

نحتاج للتمحيص ونحن نختار، عندما تتزوجون تخيّروهم من أبناءِ الأصول، أصحاب الخُلقِ مع الدين، فكلاهما مهم، وضع في حسبانك أن تراقب العادات والطبّاع..

وأنت أيضًا انتبه لنفسك، وكذلك أنتِ. إن العاقل منا من يفتح عينيه، ويراقب النّاس ليتعلّم، تعلّم من النّاس، نقّب عن الخير وكلما اكتشفت خلقًا حميدًا ضمّه وتخلّق به، وراجع طباعك، وعاداتك، وأخلاقك، فما كان صالحًا احمد الله عليه، وتمسّك به، وزد منه، وما كان طالحًا ينفّر النّاس منك؛ اعمل على تغييره، واستعن بالله، فالإنسان لا يُلام على شيءٍ خلقهُ اللهُ فيه، لن تلام على ملامحك ولا اسمك لكن خُلقك ستُسألُ عنه.

***

✍ منارة حبّ

الحبّ هو: أن تتعفف هي، وتستعفف أنت حتى تلتقيا على غير موعد! وكأنّ كلاكما قد حفظ للآخر أمانته في نفســه دون أن يراه، وأن تكون أنتَ أوّل من يخربش بلطف على جــدران قلبها كلمة أحبّك؟، وتكون هي أوّل من يترك بصمة عميقة على شــغاف قلبك؟

* * *

٣
انظر إليها

هكذا كانت وصيّة النبيّ ﷺ للخاطب. انظر إليها. لماذا؟ لأن اختيار الزوجة ليس مجرد معطيات مادية فقط:

مالٌ وحسبٌ ونسبٌ وشهادةٌ، وفارقٌ عمريٌ مناسبٌ، ولقبُ عائلةٍ مشهورةٍ، وعينان خضراوان وشعرٌ أشقر، أو عينان عسليتان وشعر ناعم أسود. بل هي روحٌ من الأرواحِ ونفسٌ أخرى. حياةٌ كاملة تضج في جسدٍ وتتفاعل أمامك. والروح تسكن البدن، ونرى من إبداع الخالق أننا نشعر بمن أمامنا من نظراته ولفتاته وهمساته وحركاته وسكناته! وأحيانًا هناك تخاطرٌ بين الأنفس يتخطى حدود الزمان والمكان. النظر إلى المخطوبة جائز شرعًا ومندوب، ولا بد أن تتحدث إليها مباشرةً وعيناك في عينيها، ترى ردة فعلها على كلماتك التي توجهها إليها، النظرة رسول ويُدرك بها المراد والمحسوس، نعرف الرضا ونعرف النفور من نظرة، بل نحن نعرف الغاضب من نظرة، والكاره من نظرة، وكذا المحب من نظرة. لا تُقبل على الزواج حتى تشعر أنّها رفيقة الدرب، حتى تغرق في بحر عينيها بكل تناقضاتك؛ لأنّها قررت أن

تلتقمك بمقلتيها، أدركت بعض مميزاتك، وكذا عيوبك ففهمتك كما لم تفهم نفسك، فلا ريب أنّكما لن تتعرفا منذ أوّل لقاء، فأحيانًا يتعارف الزوجان بعد سنوات طويلة من الزواج، عندها يشعر كلاهما بلهفة العودة إلى حضن الأم، ولوعة الضائع وشوقه للوطن، فالزوجة أم والزوج وطن. فيعيشان في تناغمٍ فتهبّ نفحات ربّانية تربت على قلبين اقترنا وامتزجا ورشفا معًا من رحيق الحب الحلال. وبعد الزواج، النظر إلى الزوجة بحبٍّ أمرٌ تثاب وتؤجَر عليه، تتعبد لله عزّ وجلّ وتتقرّب إليه بنظرة الرحمة لزوجتك، انظر إليها.

يقول ابن حزم الأندلسي:

(واعلم أن العين تنوب عن الرُّسل ويُدرك بها المراد، والحواس الأربع أبواب إلى القلبِ ومنافذ نحو النفس والعين، أبلغها دلالة وأوعاها عملًا، وهي رائد النفس الصادق ودليلها الهادئ ومرآتها المجْلوّة التي تقف على الحقائقِ وتحوز الصفات وتفهم المحسوسات).

إذًا كل ما وهبك الله من نعم تشعر بها، وتدرك بها أنك على قيد الحياة، أبواب لقلبك، وبعد الزواج أيضًا. انظر إليها وانظري إليه...

- صوت زوجك الحاني وهو يخبرك أنه يحبك بابٌ لقلبك يفتحه له، وصوتكِ الهادئ الجميل وأنت تهمسين له بأنقى وأطهر عبارات الحب بابٌ لقلبه فادخلي بسلام وقَرّي عينا.



- رائحة عطرها ورائحة عطرك.. بل رائحة عرقها وعرقك! أنفاسها في البيت وأنفاسك، تربيتةٌ بحنانٍ من يدك القويّة على كتفها ومسحة بيدها الضعيفة على رأسك؛ باب لقلبك فادخل بسلام وقرَّ عينا.

- الحبّ بين الزوجين يُرى في العين ويُسمع ويُلمس ويُشمّ وله مذاقٌ شهيٌّ حلال. كأنّ النفس تتقطع وتتجزأ ولا يصلها بعضها البعض ويلصقها إلّا جوار النصف الآخر (الزوج أو الزوجة) والنظر إلى وجه الطرف الآخر برضا ورحمة وحبٍّ له مفعول السحر في وصل النفوس النائية!

كم من خلاف بين زوجين ذاب من نظرة!

وكم من شجار طويل كاد أن يصل إلى الطلاق تبخر بنظرة!

وكم من زوج قاسي القلب لانَ قلبُه بنظراتٍ من زوجةٍ صابرةٍ بمودةٍ ورحمةٍ!

وكم من زوجةٍ متمردةٍ عاصيةٍ أدّبتها نظراتُ الرّحمة والحنان من زوجها الصابر الخلوق؛ فسقتها الحب قطرةً.. قطرةً!

❋ انظر إليها وتأمّلْها وهي جالسةٌ أمامك تنتظر أن ترفع رأسك عن الحاسوب.

❋ انظر إليها عندما تتجمّل وتتزين لك، وأخبرها أنك لاحظت تلك اللمسات الصغيرة، واللفتات الجميلة، وأنها أميرة.

❋ انظر إليها وهي تحمل ابنكما وتهدهده لينام بصوتها الحنون. انظر إليها.

❋ انظري إليه وقد أرهقه اليوم الطويل؛ فاستسلم للنوم أمام التلفاز بملابس العمل. أيقظيه وانظري في عينيه وأخبريه أنّه حبيبُك.

❋ انظري إليه عندما يضحك. وأنصتي إليه عندما ينصح.

❋ انظر إليها عندما تضحك. وأنصت إليها عندما تشكو وتبكي.

و ستمر السنون، ويشيب شعر رأسها، ويسقط حاجباها، وتفقد رشاقة قوامها، وتُوقِّع الأيام على جبينها، وتختم على وجنتيها، ويتقوس ظهرك وأنت تَسير بجوارها هي عصاتك، وأنت عكازها، وستظل حبيبتَك؛ لأنها كانت أولَ فرحتك.

تعبَّدا لله بالنظر إلى بعضكما.

نظراتُ الرحمةِ كالفراشاتِ تطير بدلالٍ فتتنقل من قلبٍ إلى قلبٍ كما تتنقل من زهرٍ إلى زهرٍ، وما زلنا نُحلّق في بستان الحب.

❋ ❋ ❋

✍ منارة حبّ

الحبّ هو: أن تعشق أنتَ ملامحها يومًا بعد يوم، وتعشق هي تضاريس وجهِك عامًا بعد عام، فتُختزل كلّ مقاييس الجمال في العالم بمساحة صغيرة تضم وجهيكما! ثُمّ تتغير هي في طباعها حبًّا لك، وتتغير أنت عشــقًا لها.

* * *

٤
رداء الحب

كتب الشيخ «علي الطنطاوي» رحمه الله، في كتابه «صور وخواطر»:

(الحبُّ ثوبٌ برّاق تحمله المرأة وتمشي حتى تلقى رجلًا فتخلعه عليه فتراه به أجملَ الناسِ، وتحسب أنه هو الذي كانت تُبصر صورته من فُرج الأحلام، وتراها من ثنايا الأماني. ومصباح في يد الرجل، يوجهه إلى أول امرأة يلقاها فيراها مشرقة الوجه بين نساء لا تشرق بالنور وجوههن، فيحسبها خلقت من النور وخلقن من طين فلا يطلب غيرها ولا يهيم بسواها، لا يدري أنه هو الذي أضاء محيّاها بمصباح حبه).

دعوني أسقطها على زوجين حبيبين. ألا ترون معي أنّها نِعَمٌ قد رُزقَ بها الزوج الطيّب والزوجة الطيّبة.

الرضا والقناعة.. تأملوا معي!، لقد تم بالفعل السّكن، استحسان روحاني وامتزاج نفساني، **قال تعالى**:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا ﴾

في الآية علّة السكن أن تكون النفس «منها»، الحب هنا متمكنٌ من صميم الفؤاد، نافذٌ في حجاب القلب ملتصقٌ بالأحشاء، نعم فنحن نجد المرأة الطّيّبة التقيّة النقيّة تحبّ زوجها وتعشقه وتجلّه وتتحدث عنه وكأنه نجم في السماء، ترفع قدره في المجلس وكأنه السلطان، وتلمع عيناها وهي تخبر قريباتها عنه وعن أخباره؛ لأنها كما قال الشيخ كانت تحمل الحب في قلبها كالثوب البرّاق، والحلّة الجميلة الأنيقة، رداء رائع، كانت تنتظر على نقائها وعفّتها في خدرها وبيت أبيها حتى تراه، ويطرق بابها ويأتي سالكًا الطريق الصحيح، رآها أو التقى بها خلال دراستها أو أثناء عملها أو في بيت أقاربها فأعجبته فطلبها كما تُطلب الأميرة من أبيها. وبعد الرؤية الشرعية وعندما نظر إليها ونظرت إليه بدأت تخرج ثوب الحب الملفوف والمخبأ في حنايا قلبها وألقته عليه وألبسته إيّاه. بعد عقد القران ربتَت على كتفيه ومسحت بإعجاب على أزراره ووقفت تتأمله.. إنّه هو حبُّ حياتها وقرّة عينها. رغم أنه لا يعجب البعض لأنه سمين أو قصير أو أسمر أو أبيض أو أنفه كبير أو حتى لا يمت للوسامة بصلةٍ- حسب رؤيتهم- فهي تحبّه بشدة!، ومعجبة بل ومفتونة به أيضًا!. لأنها تراه فارس الأحلام الذي كانت تتمناه وتحلم به، صارت تحب صوته وحركاته وعطره وتتكحل

عيناها برؤيته، أرضاها الله به وصار سكنًا لها فلا تتعجبوا. إنه الحبّ. وكذلك ترى الرجل في جلسة عائلية أو جمع على إفطار في بيت أبيه، وزوجته بين شقيقاته وأهله تجده يلتفت فتلتقط عينه وجهها فقط وكأنها شمس ساطعة تبرق وتضيء. وحتى وإن سار معها في طريق تناثرت على جانبيه الفتيات الحسان بأجسادهن الفاتنة وملابسهن التي تكشف أكثر مما تستر، وعبق المكان بعطورهن، وعلى الطريق تعالت ضحكاتهن وارتفعت أصوات كعوبهن وهي تدق وتسحق قلوب من شقوا بإطلاق البصر. تراه لا يرى نورًا إلا من هناك حيث تقف زوجته. يختار الأقل جمالًا، ويعرف فضل غيرها، ولا يحيد عنها بقلبه. إذًا ليس الجمال أساس الحب!، فعيناه مصباحان طاهران، وجَّههما على صفحة وجهها فأشرقت، رآها جميلة وكأنها أميرة متوّجة، على جمالها البسيط أو الباهت- كما يراه البعض- أو حتى لو كانت بقايا جمال بعد مرور الزّمن، رآها ويراها وسيظل يراها جميلة، فاتنة، وهي فقط التي تُشعره بأن لديه قلبًا ينبض.

هو الذي أضاء وجهها، وهو الذي استعفف فأعفّه الله ورضّاه بها، وهو الذي غضّ بصره عن كل أنثى أخرى فظلّت هي الأولى. إنه الحبُّ الحلال. فلا تتعجبوا، فالجمال هو شيء يُحسُ ويُستلذُّ به

عندما يقع في النفس، وليس كما يُظن أنه فقط يُرى بالعين، فالزوج المُحب يرى خلف تضاريس وجه زوجته الحبيبة التي يراها الجميع فقيرة الجمال تلك التفاصيل الصغيرة التي لا تُرى بالعين، فيلتفت إليها بقلبه، ويعيش فيها، وتحيا روحها فيه، فيراها جميلة لأنه يحبها. شيء يشبه الجوع يسدّه الطعام الذي تحبّه وترضاه نفسك، وعندما تشبع وحتى لو كان طعامك خبزًا جافًّا وقطعة من الجُبن فلن تشتهي شيئًا آخر الآن؛ لأنك ببساطة بالفعل قد شبعت وارتويت وسكنت.

***

✍ منارة حبّ

الحبّ هو: أن تخرج علامات الحبّ كلّها من خدرها فجأة عندما تراك، خصيصًا لك، أنت وحدك. فقد خبّأتها لك، وعطرتها بحيائها، ثُمّ دثّرتها بتقواها، وربطت عليها بحبل من الصبر عن المعاصي عقدته في ليلة بهيمة أطلّ فيها وجه قمر وهو يشهد دموعها في سجدة لله.

❋ ❋ ❋

٥
قلوب العذارى

«يجب ألّا ينفتح قلب الفتاة لأحد من الناس قبل أن ينفتح لزوجها لتستطيع أن تعيش معه سعيدة لا ينغصها ذكر الماضي، واختلاط في مخيلتها للصور والألوان»

• مصطفى لطفي المنفلوطي •

عندما انتهيت من قراءة تلك الكلمات، استوقفتني معانيها، فتساءلت.. وكيف لا ينفتح قلب الفتاة؟ وهل لها سلطان على قلبها أو هي تملك أن تضغط على زرّ لتوقف فجأة أي حبّ يطرق بابها؟ الحب ليس بمنكر في الدين، ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عزّ وجلّ.. أليس كذلك؟! ووجدتني أُجيب نفسي، فعلًا الكلام صحيح!، فالحبُّ بناء

كالهرم، يرقى عليه الحبيبان درجة درجة ويتشاركان في البناء، كما أنه لا يقع فجأة هكذا كزلزال أو طوفان فتغرق فيه دون سابق إنذار، وما يوصف أنه حبٌّ من أول نظرة ما هو إلا افتتان وإعجاب شديد لكنه ليس الحب الحقيقي. الحبُّ له طريق لابد من السير فيها، وسلّم لابد من صعوده، إطلاق للبصر لتتمعن وترى هذا المحبوب وتتحقق من تفاصيله، اختلاط بلا سبب واضح وكثرة كلام ومزاح لا حاجة له لتألفه، التواجد يوميًّا مع نفس الشخص لفتراتٍ طويلةٍ بلا ضوابط في المعاملات فتتبسّطان، السماح باطّلاعه على الخصوصيات بزعم ما، النظرات، والابتسامات.. وما أدراكم ما النظرات!، والفتاة وحدها تملك أن تسير في هذا الطريق وتصعد السلّم أو تتعفف وتغلق الباب، وكذلك الشاب.

وعندما نطلب من الفتاة أن لا تفتح قلبها لأحد قبل زوجها فنحن هنا نتحدث عن العلاقات المتشعبة المتفرعة بين حبيبين ليس بينهما رباط رسمي، لكنهما يلتقيان ويتهامسان، ويتحدثان على الهاتف، وينظر إليها، وتنظر إليه ويتجول في محاسنها بعينيه وتبادله التجوال، ويكتب لها الرسائل، وتكتب له، وربما يمسك يدها وتسمح له!، علاقة سلكت طرقًا غير مشروعة، بها شهوة وبلا ضوابط، وكما تعلمون الشهوات حلوة، السير فيها يشبه السير على الرمال الناعمة،

تنزلق قدماك وأنت لا تشعر وربما تبتلعك بأكملك... فتنة!، وقد يكون الأمر خلوة على الإنترنت، يزينها الشيطان ويطوفان بكلمة الحب من بعيد. الطرفان يتعلقان بالنموذج الذهني المثالي للشخص الآخر، وهو التدين بلا عيوب. ويكملان في خيالهما الصفات الأخرى الجسدية والسلوكيات، وتُركّب الصورة الذهنية مع الحوار.. أحلام يقظة!، وصدق العقل ويظنان أنه الحب وهو الفتنة بعينها. كيف تحب شخصًا لا تعرف شكله ولا ماضيه ولا ظروف حياته ولم تتفاعل معه وجهًا لوجه؟

ماذا لو التقيت بها ووجدتها تتحدث بطريقة أنت تكرهها؟ ونظرات عينيها لا تريحك؟

ماذا لو التقيتِ به ووجدتهِ بملامح لا تعجبك، وكرهتِه؟

ماذا لو اكتشفتما أن الشاشة الإلكترونية تعرض الجانب الحلو فقط!

وتخفي خلفها عيوبًا كثيرة. يتحكم بها لأنه الأكبر سنًّا ويعلّقها به، يستعذب أن يعيش دور المعشوق، وهو يعلم أنه لن يتمكن من خطبتها الآن! ويبدأ في الخربشة على قلبها لكتابة أول حرف من اسمه.

حبيبتي في الله، والدك يثق بك ومطمئن أنّك بالبيت درّة مصونة ولؤلؤة مكنونة، وأنت على علاقةٍ بشاب على الإنترنت!، تحرري من قيودك، واخرجي من هذا السجن العاطفي، إنّه شيء يشبه الشلل. وقد يبدأ الأمر بنقاش ديني، أو سياسي، وربما عمل خيري، إشراف على منتدى، إشراف على صفحة الفيسبوك.

الحل ببساطة.. أغلقي باب الفتنة، وامتنعي عن التواصل مع الطرف الآخر، لا تتبعي أخباره ولا ترسلي لأي شاب رسالة تحتوي على عبارات حب وعشق وغرام، اتقِ الله في نفسك وقلبك، فقلبك أمانة. وكذلك أنت أيها العفيف فالأمر لا يختلف، فأنت أيضًا لديك قلبٌ أخضر. والفائز من ينهى نفسه عن الهوى خوفًا من مقام ربه، وينتظر ميقاتًا ينعم فيه بالحلال فيتصبّر ويتعفف ويستعفف. نطالبها أن تستعفف وتستعصم وكذلك الشاب فكلاهما بشرٌ له مشاعر وأحاسيس ولديه قلبٌ رقيق غضّ، وحيٌّ ينبض.. رفقًا بقلوبكم يا أحباب.

رفقًا بقلبك الطيب، عامله كما تعامل القوارير الرقيقة، عامله بلطف وهدهده حتى لا ينقلب عليك. لا تعلّقه ببشر؛ وأنت تعلم يقينًا أن الوقت غير مناسب لك ولا له. لا تجعله ساحة للشيطان يُمنّيك فيه بما لا يرضي الله. لا تعرض عليه الصور والمفاتن فيشقى ويبكي

وتفور فيه الدماء ويغلي خلف صدرك، وأنت العبد الفقير الضعيف، الذي ليس له حول ولا قوة إلا بربه. لا تستمع لسحر إبليس الذي يسهّل عليك الصعب، ويزين لك الخُبث، ويمنّيك بالأماني فتخالُها قريبة وأنت لم تصل بعد!، لا تفتحي قلبك لرجل لم يطلبك للزواج ويطرق باب بيت أبيك، فيكون فؤادك بستانًا يمرح فيه بلا ميثاقٍ فتُطبع على جدران قلبك صور وذكريات له تظل تتقلب عليك من آن لآخر وتطفوا على السطح عندما تتزوجين غيره فتقارنين هذا بذاك، فتغلب حلاوة الهوى على مرارة الواقع.

احفظي قلبك حتى ينفتح لحبّك الأول وزوجك العفيف. وأنت أيضًا أيها الشاب العفيف، احفظ قلبك.

* * *

✍ **منارة حبّ**

الحبّ هو: أن تشعر بتلك الارتعاشات الأولى لكفّها الطاهر بين يديك في الحلال؛ لأنّك أوّل من يصافح قلبها.

***

٦
مودة ورحمة

أحيانًا تمرُّ زوجة ما أو ربما زوجها بأسوأ أيام حياتهما، يظن أحدهما أن الدنيا قد اسودت وأنه أتعس إنسانٍ على وجه الأرض، وحيدٌ رغم قُرب شريك حياته، يشعر بوحشة شديدة، يفتقر إلى الحب، يشعر أنه... «قلبٌ مكسور».

عند الخلاف؛ سينسيهما الشيطان حلاوتهما التي عاشاها معًا، سينسيهما طعم الحب الحلال!، ستحلو كل حكايات الحُب والقصص وقصةُ عريس صديقتها، ومواقف زوج جارتها، وستقارنه بزميلها في العمل. ستجلسُ وتقلّب في ذاكرتها، وتجمع كل لحظة آلمها بها وتجترّها جميعًا وتعيشها مرّة أخرى. ستشعر أنه بشع وتتمنى أن تسترد نفسها التي خسرتها. تلك النفس القديمة التي كانت غارقة في أحلام يقظة وردية. سيزين الشيطان كل شيء...كل شيء.. حتى يفرق بينهما.

سيخسر هو أيضًا ؛عندما يقارنها بكل فتاة جميلة يراها أو يلتقي بها

في أي مكانٍ، بعيدًا عن ضغوطات الحياة فتبدو كنسمة رقيقة، وربما هي في بيتها ومع زوجها بركان ثائر تمامًا كزوجته. وسيشعر بالظلم ويتمنى أن تعود الأيام ولا يراها ويحب من جديد، يفكران في الطلاق وكأنه الحل السحري. كل الطرق إن سألتها ستكون مسدودة! كل الأسباب لو حاولت إقناعه ستكون غير مقنعة، هي ستكون قبيحة في عينيه، وهو سيكون ظالمًا جبارًا في عينيها. كلاهما سيشعر أنه تحمّل الكثير وأن هذا يكفي. سيتدخل أهلها وأهله، ولأن كلًّا منهما بفطرته يحب أهله، فلو اختلفت مع أمه وأبيه سيكرهها. ولو أساء هو لأمها وأبيها ستبغضه. وكثرة الكلام تزيد المشاحنات والتباغض، وكلّما لان كلاهما للآخر أتت كلمة من طرف من الأهل لتعكر الأمور مرّة أخرى.. فهم لن ينسوا أبدًا تلك الكلمات التي خرجت من أفواههما عند الغضب. الحياة ضغوط ومسئوليات، وتحتاج إلى لين ومرونة واتساع صدر وتقبل لحقيقة.. وهي:

- **«لا يوجد إنسان كامل»**
- **«أنت لست إنسانًا كاملًا»**
- **«لا تطالب أهلك بالرضا عن شريك حياتك مئة بالمئة»**

- **«لا تكره شريك حياتك؛ لأن هناك فردًا من عائلتك يكرهه»**
- **«لا تتوقع أن الحياة وردية وسعيدة طوال العمر وكل لحظة؛ فهناك لحظات فتور ولحظات خمول ولحظات ضيق ولحظات فرج!»**
- **«تقبل شريكك كما هو، تحمل بعض النقص، وافرح بما فيه من مميزات»**
- **«حاولا الابتعاد عن الأهل والأقارب، وجرّبا أن تكون حياتكما مغلقة عليكما أنتما معًا أو لو كان معكما أبناء؛ لبعض الوقت»**
- **«لابد أن يكون هناك شيء خاص بكما لا يعرفه أحد، مساحة محظورة على الجميع إلا أنتما، حتى لو كان أمرًا تافهًا، وحتى لو كان بسيطًا»**
- **«توقفا عن الشكوى.. فقد جربتما الكلام وكثرة اللوم والعتاب فهل حلت المشاكل؟..بالطبع لا»**

رغم تدخل كبار العائلة.. لم يتغير الحال لأن بداية حلها ليس من هناك بل من داخلكما. نخطئ أحيانًا عندما نخلط بين الخلاف والاختلاف، واختلافنا عمّن حولنا هو في الحقيقة سببٌ لتكاملنا

جميعًا، مثلا: المرأة تختلف عن الرجل ولا تستطيع أن تصف اختلافها عنه وأنوثتها بأنها نقص عنه، والعكس بالعكس!، فقد خلقنا الله سبحانه وتعالى مختلفين في أشياء كثيرة، منها الشكل والطباع واللغة والاهتمامات وطريقة التفكير وغيرها الكثير؛ لنتشارك في ما بيننا ويعوض كل منا الآخر، ونعمل معا كأصابع اليد الواحدة،مختلفة لكنها تعمل معًا!

لكن الخلاف أن "أخالفك"في الاعتقاد والفكر والرأي. و"الخلاف" في الرأي شرّ لأنه يفرّق. ولو بحثنا في بحور اللغة سنجد أن هناك كلمات قوية في دلالتها على اشتداد الخلاف كالنزاع والشقاق. و"الشقاق" هو الوقوف في شق، أي في جانب يقابل ويضاد الجانب الآخر. يقول ابن القيم:

"وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغي بعضهم على بعض وعدوانه"

ولهذا لابد أن يكون خلافنا في الرأي منضبطًا، وخاصة لو كان الخلاف بين زوجين.

أُخالفك فأحترمك، أُخالفك فأسمع منك. عندما يبدأ أحدكما أو كلاكما في التنازل بقدر معقول يكفي للآخر أن يتقدم مقتربًا منه.. قليلًا، تودد من زوجة، وتراحم من زوج. ربما ستتألم وستكون في حالة مزاجية سيئة. أرجوك لا تظهرها. ولو لاحظت أن شريكك يحاول الاقتراب منك لكنه ليس منبسط الملامح وكأنّه يبتلع شيئًا رغمًا عنه بمرارة أغمض عينيك وكأنك لم تلاحظ واحتوه وابتسم، وتقبل تلك المبادرة بصدر رحب. وحتى إن كان زوجك سيء الخلق، أعطه فرصة أخيرة وأنت على طاعة، توبي واستغفري واصبري. وأمّا إن كنت غارقة في غفلتك ومعاصيك فكيف تطلبين السعادة وأنت تقفين على باب الشقاء!

وأنت أخي الكريم، زوجتك سيئة الطباع، أعطها فرصة أخيرة، فرصة وأنت قريب من ربّك، وإلّا فكيف تطلب السعادة وأنت من العصاة!، لكل منّا لحظة انهيار وإحباط وظُلمة، ولكل بيت لحظات صعبة، وأقرب البيوت إلى الله تلك التي تشهد أركانها أن كلاهما سجد مستغفرًا، ولم يقصر في طاعة ففرج الله عنهما. بُيوت تعرف رائحتها الملائكة، بُيوت تضيء ليلًا بالقرآن. والله إن البيوت لا تقوم على الرومانسية المزيفة التي تشاهدونها في المسلسلات والأفلام، بل تقوم على الود والتراحم، سدوا أبواب الشيطان ولا تسعدوه بخراب البيوت. تذكري أول لقاء بزوجك

يوم جاء لخطبتك، تذكر فرحتك بها وهي بفستانها الأبيض، تذكر كفّها التي كانت ترتعش وهي غارقة في كفك، والكل ينظرون إليكما يوم عرسكما. تذكرها وهي تحبك، تذكريه وهو يرحمك.

اغفري له، واغفر لها، حاولا مرة أخرى. وكم من خلاف شهدناه في من حولنا ارتفع لهيب ناره حتى ظننا أنها ستحرق الجميع حتى الأبناء وبردت النار بكلمة وعاد الود والحب.."مودة ورحمة".

أحيانًا يحتاج الأمر أن تربت على ظهر زوجتك عشر مرات لتستجيب بعد العاشرة، حيث يبرد جرح القلب. وأحيانًا تحتاجين لتكرار استرضاء زوجك عشر مرات ليستجيب، حيث يبرد جرح الكرامة. لا ترفعي صوتك عليه، ولا ترفع كفّك عليها. اصبرا على بعضكما إن أذنب أحدكما، فمن الأخطاء الّتي تسرّبت إلينا من رهبانيّة النّصارى ورياضات البوذيّين وغيرهم، طلب الوصول إلى حالة السّلامة الكاملة من الذّنوب، وهذا محال لأنّ جنس الذّنب لا يسلم منه بشر، وكون أحد الزوجين يجعل هذا غايته في شريك حياته فهو يطلب المستحيل. فالإنسان يصدر منه الخطأ ويقع في الذنب، وهذا لا يعني أنه يُلازمه ويبقى عليه، وكم من إنسان وقع في كبيرة أو خطيئة، ثم بعد أن تاب منها عاد حاله إلى أحسن مما كان قبل توبته،

فلا تستبعدي أبدًا أن يكون هذا حال زوجك، ولا تستبعد أن يكون هذا حال زوجتك.. أن تكون معينًا لنصفك الآخر، مُجنِّبًا له الأسباب التي تجرُّه إلى الوقوع في المعاصي، فأنت مُحسنٌ إليه، فكلّنا بشر، يقول مصطفى صادق الرافعي

"وايمُ الله! إن الخاليَ من مجاهَدَةِ الرَّذائل جميعًا، لَهُوَ الخالي من الفضائل جميعًا"..فصبرًا على بعضكما.

اللهم أنزل السكينة والطمأنينة على بيوت كل المسلمين ومن يقرأ كلامي.

اللهم اجمع بين كل زوجين في خير... واجبر تلك القلوب المكسورة.

❋❋❋

✍ **منارة حبّ**

الحبّ هو: أن تتوب أنت، وتتوب هي قريبًا منك، فتبكيا معًا، وتسـجد هي وتتضرّع فينجيك الله، وتتصدق من مالك فتؤجرا معًا. وتسـتغفرا الرحيم معًا، فتُكتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذّاكرات فيحفظ اسـميكما معًا.

* * *

٧
قبر الزوجية

هو قبر؛ لأنها مدفونة فيه، بل موءودة للأسف.. هو يعتبرها قطعة أثاث، أو تحفةً على الرف، قطعة ثياب ربما، أو شيئًا ماديًّا اقتناه.. يظنها جمادًا ميتًا. المطلوب منها أن تجلس في قبرها، تنظّف البيت، تمسح الأرض، ترتب الخزانات، تربي الأبناء، تعلمهم وتدرسهم، تغسل الثياب، وتهتم بكل شئونه الصغيرة والكبيرة، ولا تشكو ولا تتأفف، فهو يطعمها، وينفق على البيت، وهي لا تتعب في شيء ومرتاحة، لأنها لا تخرج للعمل (كما يرى هو من وجهة نظره). نسي أنّها قد تملّ وقد تتألّم، وأنّها تحتاج للأنس به، تحتاج لحياة كاملة مع رجلٍ يدرك أن له دورًا، ويدرك أنها كائن حيٌّ وليست حيوانًا أليفًا يربيه في قفص! نسي أنّها كانت تحفظ نفسها وتحجبها عن كلّ الرجال حتى تلقاه تعففًا وطاعةً لله لكي يكون هو حبّها الوحيد ويسعدها. بكى أحد الصالحين عندما ماتت زوجته وعاد لداره، وقال:

الآن ماتت الدار أيضًا.



إن بيوتنا تحيا بروح الزوجة الصالحة، تلك الحبيبة التي تجعله جنّة إن كانت سعيدة، وقبرًا إن كانت محطمة حزينة. شيء يشبه الثوب الرائع الجميل الذي لا تدبّ فيه الحياة إلّا إن ارتدته فتاة جميلة، وهو بدونها مجرد قطعة قماش لا جمال فيها. تلك الابتسامة التي تزين وجوه النساء تعددت أسبابها، وأجمل الابتسامات هي ابتسامة الأم وهي تحمل طفلها الرضيع، لكنها لن تغلب أبدًا تلك الابتسامة التي تغرق ملامحها عندما تنظر في عيني زوجها وتدرك أنه يعشقها ويحبّها، عندما تأنس به، عندما يكون موجودًا بالفعل بجوارها، وحتى إن غاب عن البيت فهو حاضرٌ بطريقة أو بأخرى: فالوسائلُ ميسرة، والهاتف موجود، وربما كلمة تقدير ومشاركة واهتمام يبقى لها أثر ممتد المفعول طوال فترة غيابه عن المنزل حتى يعود، فتدبّ الحياة في البيت بسبب رحمته وحسن خلقه. عندها فقط ستعلم أنها أميرة وملكة، سترتفع وتحلّق فوق السحاب، ستغرقه حبًّا هو وأبناءها وأهلها وأهله والجيران وأهل الحي كلّه ربّما. إن المرأة لديها قوة جبّارة على العطاء والحب والعطف، بركانٌ ينفجر، وسيلٌ ينهمر.. عندما تعلم أن زوجها راضٍ عنها ويحبّها. في بعض الأحيان مجرد قبلة على رأسها بحنان تعني لها عقدًا من الألماس، وكلمة شكر وامتنان في حضور أهلها وأهله تكون كالتاج المرصع بالأحجار الكريمة على رأسها، سهلة الإرضاء ولا تحتاج إلّا أن تشعر أنها

على قيد الحياة، أمّا أن تعامل كلوحة على الحائط، أو جمادٍ لا يتنفّس، أو كائن حي ولكن لا يهم أن يخرج أو يزور أحبابه، ولو تحدث نسكته أو نتحدث بصوت أعلى من صوته ونتجاهله.. فذاك غريب. قد تكون الزوجة مثقفة ونابهة ونشيطة، لديها طاقة وتحتاج للتعبير عن ذاتها فعلى الزوج أن يمنحها الفرصة، طالما أنّها لا تتعدى الحدود، فرصة لتزور أهلها، وفرصة لتستقبل صديقاتها، أو فرصة لتذهب إلى محاضرة علمية أو دورة تثقيفية ما. فذاك حتمًا سيعود عليها وعليه وعلى الأبناء بالخير، طالما لديها القدرة على تنظيم الوقت، وترتيب الأولويات. حب الزوج لتملّك زوجته صعب، بل حب التملك من أي طرف للآخر لا بد من التخلص منه، الشخصية التحكمية منفرة.. ولو خضع طرف لآخر سيموت وهو على قيد الحياة. لو أحبه بتلك الطريقة فذاك نوع من الأنانية، مثلًا: هل خلق الله النساء للرجال ليستمتع بها كمتاع فقط؟ بالطبع لا. الزوجة مسلمة حرّة، تتزوج برضاها، ولها حقّ القوامة بأن يرعاها زوجها وقبله الأب، والأب لا يمتلك ابنته، ولا يبيعها للزوج، لو قلنا ظفر فلان بزوجة هل معناه أنه اشتراها! هناك فرق أيضًا بين الخوف عليها والغيرة عليها.. وبين تملكها، أليست نفسًا ستحاسب أمام الله عز وجل وحدها؟ إذًا هي مسئولة. لا بد أن يعلم الزوج أن زوجته كائن منفصل حتى بعد لحظات الألفة التي يشعران فيها وكأنهما روح واحدة في

جسدين كما يقولون.. يتفرقان ليعود كل منهما لكينونته في نفس البيت وعلى بعد خطوات من بعضهما، إن لم يشبع فيها الجوانب الأخرى ويكون قوّامًا بحق فيرعاها ويسعدها ويتحدث معها ويخرج معها ويمنحها ما تحتاجه من احتياجات مادية ومعنوية هي ترغب فيها سيكون ظالمًا لها. على الزوج أيضًا أن يخفف عن زوجته، ويدخل عليها السرور، أتساءل أحيانًا... كيف يضحك زوج ملء شدقيه ويقهقه وهو مع رفاقه، وزوجته محبوسة منذ شهور في البيت ولم يفكّر ولو للحظة في التخفيف عنها؟

بل كيف يذهب إلى بعض المطاعم المشهورة مع زملائه في العمل ويأكل حتى تمتلئ معدته بكل ما يشتهيه ولا يفكر في الخروج معها ولو لمرّة؟

وكيف لا يذكرها بهدية لأعوام وأعوام وكأن أي شيء اشتراه لها يوم تزوجها كان أول وآخر عهده بهداياها؟

فُطرت المرأة على حبّ هذا؛ فأهدها ولو بالقليل فهي حبيبتك. بل أعطها في يدها بعضًا من المال وأخبرها أن هذا لها لتشتري ما تحبّه لها وليس للبيت فهذا حقها. لماذا يظنّ بعض الأزواج أن البيت محطة قطار يعود إليها كلّ ليلة مرّة ليأكل ويبدل ملابسه بأخرى أكثر نظافة ويغلق أذنيه ويغمض عينيه، ثم ينطلق في الصباح التالي ويتركها في قبر! لا تجعل بيتَك قبرًا للزوجية، فهناك أنثى تعيش فيه فرفقًا بها أيها الزوج الطيّب.

✍ **منارة حبّ**

الحــبّ هو: أن تغضب هي منكَ فتشــكوكَ إليكَ! لأنّك حصنها الذي تلجأ إليه خوفًا منك. وتغضب أنتَ منها فتشكوها إليها لأنّها خير من يدافع عن حقّك فيها!

***



٨
ضلع مكسور

يقول ربنا عزّ وجلّ في سورة النساء:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾

وجاءت السنة ببيان شيء من هذا الخلق، فقال النبي ﷺ:

استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء. رواه البخاري

يقولون إن المرأة ضعيفة، وينصحون الرجال أن يكسروا لها ضلعًا (اكسر للبنت ضلع يطلع لها أربعين) لتستقيم، وكأن كل الرجال حالهم لا عوج فيه!، وينسون أن اعوجاج الضلع صفة حالهِ وليس ذمًّا فيه، وكما قال الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله، "الفساد هو إخراج الشيء عن حد اعتداله لمهمته، وقد يكون اعتداله لمهمته أن يكون أعوجًا"، والضلع في الصدر اعتداله أن يكون أعوجًا ومنحنيًا

ليحمي أغلى شيء في الإنسان وهما الرئة والقلب، وكما نرى تركيب مفاصل الجسد بما فيها من انحناء واعوجاج لكنها معتدلة لمهمتها، هندسة بديعة وروعة في الخلق لن نصفها أبدًا باعوجاج سيء.. بل هي معجزة ورحمة من الله. إذًا، ليس هذا ذمًّا للمرأة كما يظن بعض سطحيي الفهم، بل هو اعتدال لمهمتها لتحنو على طفلها الصغير وتتحمله في بطنها وهنًا على وهنٍ لشهورٍ طويلةٍ، ثم تتجرع آلام ولادته وتتحملها بنفسٍ راضية، وتقوم بواجبها كأم وتنهض من نومها لترضعه، وتسهر إن مرض، وتكرر نفس التجربة مرّات ومرّات رغم قسوتها وألمها.. سبحانك ربي.

كونها عاطفية- وهو العوج المقصود- رحمة من الله لأنها ستتعرض لوليدٍ لا يبين عن آلامه، غير مطلوب هنا أن تكون بعقل وحزم رجل شديد وإلا.. من سيرحم الصغير ويحنو على الزوج ويصبر على قسوته أحيانًا ويغفر وينسى بعد كلمة حلوة!

اعوجاجها في عاطفتها يجعلها تتحمل صراخ صغيرها لساعات، ثم تحمله وتمسح دموع عينيه وتقبله وتطعمه بينما لو اقترب من أبيه لصاح في وجهه، تلك العاطفة تجعلها في حالة وصل وجداني مع زوجها، فتتحمل شظف العيش معه وهو يجتهد بحثًا عن لقمة العيش فتظل في

بيتها ساعات وأيامًا بلا خروج بعيدًا عن أي نوع من الترفيه، فدخوله عليها هو الجائزة الكبرى التي تنسيها كل ما مرَّ بها طوال اليوم من همّ وغمّ، ولو ابتسم لها وأخبرها أن طعامها شهيٌّ جدًّا ستنام قريرة العين، والبعض يرى في قسوته وحدّته مع بناته أو مع زوجته تربية سليمة!، ويجهل هؤلاء طبيعة المرأة التي فطرها الله عليها، ولو فهموها لاختلف الأمر واختلفت النصيحة. إنّ المرأة إذا ضربها زوجها ستكرهه وتبغضه، وسيموت فيها ذاك الضعف الأُنثوي الحلو الذي كان يستمتع به وهي بين يديه، فضعف المرأة أمام زوجها له حلاوة تحبها المرأة عندما تشعر أنه يحميها ويحتويها، فيتولد لديها شعور بالانتماء إليه وكأنّها قطعة منه يحبها ويقدّرها. أما الضرب والعنف والقسوة فيقتلون تلك الرّقة التي يكتمل بها جمالها كأنثى، فتتغير طبيعتها، وتتحجر نظراتها، ويغلظ صوتها في الرد عليه لأنها تتألّم، وستخرج كلماتها من قلب صار كبئرٍ عميقٍ مظلم، ستحترق.. وستُحرق كل شيء معها.

بعض النساء تزن تلك الأمور بميزان الحكمة والروية وهدوء الخاطر، وبعد أن تتفهم طبيعة شخصية زوجها تتفادى إغضابه، وتتحرى في كل كلمة وتَصرُّف، فتعيش في سلام وربما هي التي تقوّمه، وتكون سببًا في صلاح حاله. وهؤلاء لديهن قدرة كبيرة على التحمّل وامتصاص

الغضب، ويتنازلن كثيرًا أمام زوج قاسي القلب، غليظ الطباع. هذه المرأة العظيمة لا تأخذ الأمور بعاطفتها، وكل هذا على حساب صحتها النفسية والبدنية. تلك تكون أرحب فهمًا، وأحنى قلبًا، وأبعد عن افتعال المناكفة، إذا أحبتك راعت نظرك ولم تخطئ ما تريد، وإن جفتك حفظت لك جانب الوصل البعيد بينك وبينها فكانت لينة المعشر.. لكنها مظلومة!، وقد لا تتحمل أخرياتٌ تعيش في حالة صراع نفسي دائم، وقد ينفجر البركان الذي يغلي داخل صدرها في أي لحظة!

لماذا تكسر الضلع وتؤلمها وأنت تعلم يقينًا أنها تحبك؟

أين الرحمة في قلبك؟

أين وعدك لها أنها ستكون أميرة فؤادك؟

إنّ الغضب له علاج، توضأ، إن كنت واقفًا فلتجلس، وإن كنت جالسًا فتمدد قليلًا حتى تهدأ، أو اترك البيت وسر قليلًا واستنشق بعض الهواء، ابتعد عن محيط شجارك مع زوجتك حتى تهدأ.. أمّا أن تتحول غرفتكما إلى حلبة مصارعة ويتورّم وجهها من اللكمات، ويُكسر أنفها وتسيل الدماء، وتصفعها بقسوة، وتدفعها بعيدًا عنك ليصطدم ظهرها بجدار الغرفة.. فأنت تنتقم منها وتكسر الضلع.

- استهزاؤك بها أمام الجميع وتهكمك من كلامها ورأيها ولو كان بسيطًا أمام أهلك أو أقاربك.. كسرٌ للضلع.
- نظرة الإرهاب إن طلبت شيئًا..كسرٌ للضلع.
- ردك بغلظة على كلامها طوال النهار..كسرٌ للضلع.
- تجاهلك لتلك اللفتات الحلوة الرقيقة التي تجتهد فيها لترضيك..كسرٌ للضلع.
- إن ذكّرتك بذكرى طيبة مرّت بكما، فردُّ فعلك البارد عليها.. كسرٌ للضلع.
- العنف..كسر للضلع.

وحان وقت الهدنة، وتبدأ الهدنة بين كل منا وشريك حياته حينما يرتضيه ويقبله، ويقبل قدره ومصيره معه، يحبّه ويقدره ويرى فيه من المميزات ما يكفيه ليغفر الزلات، ويبني معه جسورًا يعبران بها على كلّ مشكلةٍ تمرّ، يمسك يدها وتمسك يده، ولا يتخليان عن بعضهما أبدًا مهما تكررت الأزمات، ففي كلّ مرّة سيبنيان جسرًا جديدًا. وكلّما زاد عنف الرجل مع زوجته.. قلّت الجسور، وتغيّرت الزوجة وتخلّت عن ضعفها الأنثوي الحلو، وسيجدها تقف أمامه ندًّا، وسيعلو الصوت، وستتبخر اللحظات الحلوة؛ لأن الضلع مكسور.



ويبقى الأمل.. فلا دوام على حال أبدًا، ولله نفحات تهلّ علينا فنرى الزهر يبتسم، وغصن الريحان يهتز، والياسمين الحلو ينبض حولنا. لا تيأسوا أبدًا من تغير من قسا عليكم يومًا، فالحب معجزة الله التي رُزقنا بها، بالحبّ سيتغير زوجك، وبالحب سيحنو عليك، وبالحب ستهدأ زوجتك وتسكن إليك، وبالحب سيستقر العشّ وتعلو المودة والرحمة حتى تصبح كمظلة كبيرة تغطي عضّات الزمن، وضربات الأيام.

قليل من الصبر، وكثير من الحكمة، والصمت البليغ، لا بد للزوج أن يراعي رهافة حس زوجته، ويعترف أن اعوجاجها ليس إلا اعتدالًا لمهمتها التي كلّفها الله بها، وإلّا تسبب بفهمه الخاطئ لهذا الاعوجاج على أنّه نقص ومعاناة؛ في الكثير من المشكلات الزوجية، فإذا فقه الزوج هذا عرف وحده كيف يصلح الكسر الذي تسبب فيه، لا تقوّم الضلع.. فالاعوجاج بعاطفتها ورقّتها وضعفها الأنثوي، ما كان إلّا ليحميك أيّها الزوج الطيب وينحني عليك أنت وأبنائك، تمامًا كما ينحني الضلع في صدرك ليحفظ لك قلبك ويحتضنه ليتحمل عنك الضربات.. ولتتركها كما هي ضلعًا جميلًا صفة حاله أنه أعوج، وليس هذا ذمًّا فيها بل هذا حالها، وعلّمها بنفسك أن تفخر باعوجاجها لأنه

ليس منقصة ومذلّة. إن عظم حق الرجل على زوجته الحبيبة لا يعني سلب حقها المماثل في حسن العشرة والمعاملة، أو منحه السلطة المطلقة عليها دون مراعاة لجانبها بمثل ما أمرت به تجاهه من حقوق وواجبات، وقد جمع ذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾

حتى قال ابن عباس- رضي الله عنهما- في تفسيرها:

"إني لأتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي". وفسّر الإمام الطبري "الدرجة" في قوله تعالى بعدها:

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

بمزيد من الأعباء المطلوبة من الرجل، فارحم زوجتك، وأحسن إليها، فذاك هو حبل الرحمة الذي تتصل به أمور الحياة بينكما.

* * *

✍ **منارة حبّ**

الحبّ هو: أن تكون أنت الأمـان، وأنت الحضن، وأنت الحصن، وأنت السـكينة، وأنـت اليدُ الرحيمة، وأن تكون هي أميرتك التي تحميها فتقـرّ عينُها ولا تحزن.

❋ ❋ ❋

٩
العِشرة الطّيبة

أحيانًا ترفض الفتاة الزواج من شابٍّ رائعٍ على خلقٍ ودينٍ، ولديه من المميزات والصفات ما يزكيه ويرفع قدره وميزانه بين الرجال لا لشيء إلّا لأنها لم تشعر تجاهه بشرارة الحب أثناء الخِطبة رغم أنها لا ترى فيه عيبًا ولم تنفر منه إطلاقًا لكنّها تشعر بفتور.

ونرى أيضًا الشاب يتراجع عن الزواج من فتاةٍ طيّبة الخصال، كريمة الأخلاق، ربّاها والدها على حسن الخلق، وعلّمتها أمّها الحياء.. لا لشيء إلّا لأنه لم يشعر بخفقان القلب وتلك اللهفة للقائها كل جمعة عندما يحين موعد زيارته الأسبوعية، ورغم أن شكلها يعجبه ويراها رائعة لكنّه لم يشعر بالحب!

تأمّلت كثيرًا في قول "ابن حزم الأندلسي" في كتابه الرائع "طوق الحمامة في الألفة والألاف" حيث كتب موضحًا أثر العشرة الطيّبة على نفس المُحبّ:



"ومِن النّاس مَن لا تَصحُّ مَحبّتُه إلا بَعدَ طول المُخافتةِ وكثيرِ المشاهدة وتمادي الأنس، وهذا الذي يُوشِكُ أن يدوم ويثْبُتَ ولا يحيكُ فيهِ مُرُّ الليالي؛ فما دخل عسيرًا لم يخرج يسيرًا."

وتلفّت حولي وفتشت في ذاكرتي.. نعم هو ما قاله. أحيانًا نجلس في صفوفنا بالمدارس بجوار رفاق كرهنا وجوههم أوّل مرّة؛ لأن ملامحهم أو هيئتهم لم تعجبنا أو شعرنا بالضيق وحسب! هذا مغرور، وتلك متكبّرة، وهذا ثقيل الدّم، وتلك سليطة اللسان.

وبعد تكرار النظر طوال العام في نفس الوجه كلّ يوم ست حصص نكتب معًا ونضحك معًا ونبكي على نتائج الامتحانات معًا، ونتجول في فناء المدرسة معًا نجدنا قد أحببناه بخصاله وملامحه التي كنا يومًا ما نكرهها، وربما تأتي نهاية العام فنبكي عند الفراق ونتمنى أن يجمعنا مقعد الدراسة في العام القادم. أحيانًا نرى جارًا أو زميلًا في العملِ ثقيل الدّم ونكتشف بعد موقف وزيارة وحوار قصير أنه ودود ونحبّه كثيرًا، وربما نخبره عن انطباعنا الأول عندما نقول: (لم أتوقع أنّك رائع هكذا، كنت أظنّك كذا وكذا). وأحيانًا نلتقي بشخصيّة ما عند أقاربنا ونحن قد سمعنا مرارًا منهم أنه لا يطاق! فنجدنا نأنس به ونرتاح بعد تكرار اللقاء والحوار والمواقف فنتعجب. إنّه الحب الذي وُلِد بعد العِشرة الطّيبة. الفتاة عندما تكون من بيئة محافظة وتميل



بكيانها للتدين والالتزام تكون في حالة من التقوقع، تغلق على مشاعرها وتحبط أي محاولة لاستنفار تلك الأحاسيس، وتدخر الكثير من ردود الأفعال، والكلمات الحارّة، والنظرات وغيرها؛ لأنها لن تستطيع أن ترسلها لخاطبها، لأنها ببساطة تنتظر الوقت المناسب لتبدأ في بثّ وإرسال إشارات الحب من قلبها البكر الذي لم يلمس شغافه شاب قطّ قبل زوجها هذا. وكذلك الشاب الذي حفظ جوارحه وسلك الطريق الصحيح عندما أحب أن يتزوج. أنت تحتاج وأنت تختار شريك حياتك لنظرة من بعيد، رغم أن من حقك أن ترفض الزواج لأنك لا تشعر بانجذاب للطرف الآخر وليس عيبًا على الإطلاق، لكن لا بدّ أن تفكّر خارج الصندوق، تبتعد قليلًا لتتأمل هذا الآخر، تعدد مميزاته، وتبحث عن عيوبه، وتستخير الله أن يلهمك رشدك، وبعد تأمل وتفكير بهدوء بعيدًا عن رأي أهلك ورفاقك، خذ القرار وحدك.

هل حقًّا أنت على استعداد أن تخسر هذا الشخص وتلفظه؟

هل من الممكن أن تجد تلك الأخلاق أو المميزات، أو تلك الشخصية مرّة أخرى؟

صحيح أن الزواج رزق ونحن فقط نأخذ بالأسباب، وأعلم أنك تخشى المجازفة وربما يُخيل إليك أنّك لن تحبّ هذا الآخر حتى بعد الزواج ولكن..

لا ترفض الزواج لمجرد أنك تشعر بفتور فقط، فذاك الفتور سيزول بالعِشرة الطيّبة وسيتبدل بحب ووداد إن شاء الله، وربما الأفضل أن تُطيل الخطبة قليلًا وتبحث عن حلقة وصل في حدود الشرع بحوارات أعمق مع الطرف الآخر في وجود شقيقها إن كانت عروسك، وفي وجود شقيقك إن كنتِ تريدين استكشاف طريقة تفكير خاطبك، وما أجمل أن يكون للأخ هنا دور بارز، وما أروع أن يقوم الأب بهذا الدور العظيم، ويكون هو حلقة الوصل ويتودد لخاطب ابنته ويحاوره أمامها، وييسر على ابنته لتستطيع أن تتحدث وهي تشعر بالأمان؛ لأنها تجلس بجوار أبيها الصديق والحبيب الذي يعرف خبيئتها وسرّها وما يرضيها، ولا ترهبه وتخافه فتكتم عنه سرّ قلبها. نحتاج فعلًا لتوطيد العلاقة بين أفراد الأسرة لتكون عونًا للفتاة وللشاب عندما يبحث عن شريكٍ يأنس ويسعد به. توجيه من بعيد دون ضغط، لأن هذا قرار خاص بهم فقط، وهم وحدهم من سيعيشون مع هذا الآخر. فكّر قليلًا وامنح الطرف الآخر فرصة فهناك حبّ يولد ويكبر وينمو ويترعرع بطول المعاشرة، والجلوس مع نصفك الآخر في عشّ تغمره السكينة، تنظر في عينيها كلّ يوم فتراها راضية، وتراقبين ملامحه فترينها ساكنة مطمئنة وسعيدة، وشيئًا فشيئًا تألفيه ويألفك، وشيئًا فشيئًا يذوب الجليد، سترينه يمرض إن مرضت ويجلس بجوارك مهمومًا كما ترين والدكِ إن مِرضتْ والدتك. وتصبر هي

عليكَ إن رفعت صوتك بقسوة عليها كما تصبر والدتك على والدك، تقف خلف النافذة ينهش قلبها القلق عليك إن تأخّرت، تجلس أمامها بعفوية بملابسك البسيطة دون كلفة لأنها سكنك، إن أخطأتِ في شيء ما بالبيت أو كسرتِ شيئًا أو حتى حرقتِ طعامًا لن تخافيه؛ لأنه رحيم بك، ستشعر بوجع في قلبك إن فارقتك هي لسفرٍ، أو تغرّبت أنتَ بعيدًا عنها، ولن تطيب الحياةُ إلّا بجوارها. وتتطبعين بطباعه فتحبين ما يحبّه وتكرهين ما يكرهه، ويراقبك فيبدأ في الاهتمام بما تهتمين به؛ لأنه أحبك.

سبحان الله!

كثيرًا ما نلاحظ أن الزوجين يبدوان وكأن ملامحهما متشابهة بعد الزواج بأيّام ونسرع فنخبرهما أنهما يشبهان بعضهما!، وكثيرًا ما نفاجأ بأن فلانة أصبحت تتصرف بطريقة ما كزوجها تمامًا!، وكذلك هو يحب شيئًا ما لأن حبيبته وقرّة عينه تحبه!، رابط خفي يبدأ بين قلبين اختار كلاهما الآخر على قاعدة سليمة وبأسسٍ نقيّة، حب حلال بدأ بعد انطلاق الأذان لأن كليهما كان صائمًا... وحان وقت الإفطار.

اللهم لك صاما وعلى رزقك أفطرا، ذهب ظمأ قلبيهما، وابتلت العروق بالحب الحلال، وثَبت الأجر إن شاء الله.

***

✍ **منارة حبٍّ**

الحبّ هو: أن تكون الابتلاءات طاعة عندما تتصبران معًا بجوار بعضكما، وحتى إن حُرم أحدكما من نعمة الإنجاب بلطف من الله وحكمة. فإن ضاقت الدنيا وعظم ذاك الابتلاء أو غيره، فيكفي في تيك الظلمة؛ أنّ هناك حبيبًا في الجوار يتصبر بك، ويثبّتك!

* * *

١٠
فارق عمريٌّ جميل!

فارق عمري جميل، نعم «جميل»، ليس كبيرًا إلى حدٍّ يجعله يشعر أنّه من جيل وأن زوجته من جيلٍ آخر، وليس صغيرًا لدرجة تجعلها تشعر أنّه غير ناضج، لا بد من الانتباه عندما تبحث عنها، وعندما تبحثين عنه. في فترة المراهقة، عندما نقارن بين شاب وفتاة من نفس الفئة العمرية سنجد الفتاة أنضج اجتماعيًّا، وربما أكثر وعيًا بأمور الحياة التي تؤهلها بعد سنوات لكي تكون زوجة وتتحمل مسئولية بيت. أما الشاب فينضج هذا النضج النفسي الاجتماعي بعدها ربما بخمس سنواتٍ لكن نضجه يكون طفرة وبمعدلٍ أسرع، يفيق ويبدأ في تحمل المسئوليات بدوره ويصبح أهلًا لكي يتقدم لخطبة فتاة تناسبه. المرأة تحب أن تشعر أن زوجها أكبر منها، وأعقل منها، وأقوى منها، وأكثر خبرة منها، وحتى أنها تتمناه دائمًا أطول منها. ووجود فارق عمري يشعرها بجزء من هذا دون أن



تفكّر، هي تبحث عن «الاحتواء» تحديدًا. وتُستثنى طبعًا شخصيّة الشاب الغير ناضج والغير مسئول بطبعه، فنحن نتحدث عن القاعدة العامة من الشباب. تقول الدراسات إن الفارق الأنسب بين عمري الزوجين لا بد أن يكون ما بين ثلاث إلى خمس سنوات، وأقصى شيء عشر سنوات، وأنّ الأفضل أن يتجنب أن يتعدى الفارق أكثر من عشر سنوات؛ لأن هذا يفصل جيلها عن جيله، وهنا سنجد كلًّا منهما تربى ونشأ وعاش وتشبع ثقافيًّا واجتماعيًّا في بيئة مختلفة. من ناحية أخرى؛ نحن في مجتمع يخضع أيضًا لظروف اجتماعية ومادية تجعل الشاب يعيش فترة طويلة يجاهد فيها حتى يتمكن من جمع بعض المال لكي يتزوج، وربما لو لم يساعده أهله فلن يفكر في الزواج قبل الثلاثين..ووقتها سيطالب بعروس تصغره على الأقل بست سنوات. ولكن دعونا هنا ننحي المال جانبًا ونتحدث فقط عن الفارق العمري بين الزوجين. وكما اتفقنا نحن نتحدث هنا عن القاعدة العامة ولنقل بنسبة تسعون بالمئة من الجميع، لأن هناك دائمًا نماذج تتخطى تلك الدراسات وتحطم تلك المقاييس. فنحن نسمع عن فلان الذي تزوج من زميلته التي تكبره بسنوات وهو سعيدٌ جدًّا ويعشقها بجنون، إنّه الحب!

عندما نتأملهما جليًّا سنجد هناك تمازج بين الشخصيتين جعل في نفسه حاجة لكي تكون هي أكبر منه فأشبع هذا الفارق العمري حاجة نفسية لديه، وملأ فراغًا لديه، فرآها أجمل الناس، ولكن لن نعمم حالته على الجميع لأن هذا الزواج لا ينجح مع أي شخصية، ويحتاج لفكر من نوعية خاصة ونفسية محددة. ونجد أيضًا حولنا الشابة في أوائل العشرينيات تتزوج رجلًا بدأ الشيب يزحف إلى رأسه، وهي سعيدة وهو سعيد، شخصية ربما بها نوع من الطفولية تحتاج لزوج به سمات الأب ليحتويها نفسيًّا وهي تحبّه، وتحتاجه كما هو ليشبع في نفسها حاجة له، ولن نعمم حالتهما على الجميع لأن هناك فترة من فترات النضج تمرّ بها المرأة ربما بعد عشر سنوات من زواجها من هذا الزوج الطيّب ستحتاج فيها إلى زوج شابٍّ، وتكون هي في عنفوان الشباب والنضج الجسدي، وربما تتلفت فتجد هوّة كبيرة بينها وبينه..فاصلٌ زمني فعمره ضعف عمرها.

ربما لو صحّ التعبير هذا النوع من الزواج بالمقاييس النفسية صواب لأنه حاجة نفسية، دقّ ناقوس الحب فركعت كل المعايير.. ولكن، الفارق بين الحب الناضج وغيره هنا لابد أن يكون واضحًا، فالتعلق والإعجاب الظاهري لن ينجح معه ركوع المعايير الأخرى،

تأكّد أنّه حبٌّ ناضج أولًا قبل أن تتخذ تلك الخطوة وتتزوج بمن هي أكبر منك، أو عندما تقبلين بالزواج برجلٍ في عمر والدك، تأكّدي أنّه ليس زواج «الهروب الاجتماعي» من ظروف صعبة، وأنه ليس زوج ظرف طارئ!

صفة إعجاب بصفة محددة لا تكفي للزواج، لا بد من دراسة الأمر بالكامل بشكلٍ جيد. الحب علم يدرّس.. ويقولون إنه يعيش سنوات ثم يموت إن لم يُغذّى ويفتر بالإهمال، لا بد من تغذيته ليعيش بالمودة والرحمة، سمات الشخصية لدى الطرفين مهمة جدًّا. الحب يبدأ بالانبهار، أن ترى من أمامك كامل الأوصاف، بعدها تكتشف العيوب والمزايا، ثم تتعايش مع العيوب وتفرح بالمزايا.

لهذا ننصح هنا أن يكون تقييمك للطرف الآخر يشمل كل تلك الأمور قبل أن تقرر الزواج به.. فهناك شخصيات تتناسب وشخصيات تتضاد، فحدد موقفك جيدًا.

- الاحتياجات الجسدية، والجنسية، والاجتماعية هامة جدًّا فلا تهملوها.
- أنت تعرف نفسك جيّدًا وما يرضيك فخذ قرارك بعد تفكير إنّه "زواج".

- لا تتزوج حرجًا من فلانة لأنك اعتدت على الكلام معها في محيط العمل، فربما تندم بعد سنة وتؤلمها عندما تبحث عن غيرها. لا تقبليه إشفاقًا عليه وتعاطفًا لأنه أظهر حبّه لك فقبولك له أيضًا هام جدًّا. هناك فرقٌ بين الإعجاب والحبّ الناضج. وأخيرًا حاول أن يكون الفارق العمري بينكما جميلٌ بالقدر الكافي لكي تستقر، فهو عنصر هام ولكنه ليس العنصر الوحيد.



✍ **منارة حبٍّ**

الحبّ هو: أن تنصتــــ هي لرجفــة قلبك ورأســها على صدرك بعد أن منحتها ميثاقًا غليظًا. وألّا تلتفتــــ لأي امرأة أخرى لأنّها أشــبعت قلبك الظمآن للحب؛ فارتويت بها.

***

١١
فطرة الله

هل تقبلين الزواج مني؟ كلمات سحرية تحلم بها كل فتاة، ويتمناها كل شاب طيب، الكلمات لها كرامة وعِزّة؛ وعِزتّها أن تخرج من فم الرجل لمن يطلبها لتكون زوجته، فهو يعلم الطريق السليم ليصل إليها كما يرضي الله؛ لأنها الأميرة العزيزة، الكريمة، المكرمة في ديننا. لا بد أن يطلبها هو، وتكون الخطوة الأولى منه هو ليسعى إليها بنفسه. زوجه صالحة، زوج صالح، يبقى هذا حلم كل قلب ينتظر اللقاء بشريك حياته، فطرة فطرنا الله عليها، مودة ورحمة وسكن. سيظل كل مسلم يشعر بذاك الفراغ في صدره حتى يلتقي بأنيس يملأ الفراغ ويزيل الشعور بالوحشة. تعطش للحب الحلال كما تتعطش الأرض للارتواء، ظمأٌ شديد، لهفة لماء الحب، فالكل صائم حتى يأذن الله بالحلال، وما أروع لحظة الفطور على الحلال!



مرحلة البلوغ هي أول خطوة إلى هذا العالم الجديد، فالمراهق يتفاجأ بتطور غريب في نفسه، تغير عجيب لا يستطيع التكيف معه فجأة لأنه يستغربه أحيانًا، ويخشاه أحيانًا، ويخجل منه كثيرًا، فيبدأ في إخفاء ما يشعر به في صدره ولا يجرؤ على التصريح بما جدّ عليه.. وهو الميل للجنس الآخر، ويستمر الأمر حتى الزواج.

فطرنا الله على هذا، هو يميل إليها، وهي تميل إليه، ولكن الإنسان العفيف والذي ليس له خبرة سابقة في التعامل مع الجنس الآخر، لا يميّز بين الانجذاب وبين الحب الناضج، فتراه يضع إعجابه في خانة الحب الحقيقي، وربما يعيش مأساة لأنه يرى أنه أحب فلانة من أول نظرة، ولن يشعر به أي مخلوق على وجه الأرض لأنه الوحيد الذي يعرف أنه يحبّها. من الممكن أن يرى فتاة في أوّل مرّة فيعجبه شكلها فيتعلّق بها ويبدأ في الاسترسال في أحلام اليقظة.

في حفل عائلي ربما رآها، أو لمحته هي بنظرة خاطفة، هو يغضّ بصره، وهي تتعفف، لكن النظرة طبعت بكل التفاصيل وبألوان حلوة. وتبدأ مؤثرات أخرى، فيركّب وجهها على خيالاته الواسعة، شيءٌ يشبه المونتاج، ويراها بطلة لقصص عديدة ومشاهد شتى تحفظها ذاكرته، يغني لها ويركض معها في المروج الخضراء، وينقذها ربّما من خطر شديدٍ



ويحميها، أو يفوز بها بعد صراع ومعركة مع عدو يطمع فيها تمامًا كما يرى في الأفلام والمسلسلات التي يشاهدها، والفيديوهات المصورة لأحدث الأغاني، وفي الحقيقة حتى لو كان من بيت لا يشاهد تلك الأشياء فهو سيسمعها رغم أنفه من رفاقه، وربما سيشاهد مقاطع من تلك الأفلام عند أقاربه، فهو محاصر، وكذلك هي فالفتيات أكثر أوقاتهن في البيوت، وخيالهن خصب جدًّا ولهذا هن عرضة لتلك الحالة أكثر من الشباب. الإعجاب بالجارة والجار، وزميل الدراسة وزميلة الدراسة، وابن الخال وبنت العمّ، وأي أنثى أو أي ذكر يمرّ أمام هذا القلب الأخضر الحديث عهد بتغيرات هرمونية في جسده، وطفرات في مشاعره، وتموجات في حالته النفسية. شيء يشبه حالة هياج في بحر كان هادئًا ساكنًا بريئًا، وفجأة علا الموج وهبّت عاصفة شديدة والقارب تتقاذفه الأمواج هنا وهناك، سيتحول بعد فترة لشخص كسول، ويشعر بالحزن والاكتئاب إن لم يخرج من تلك الحالة بنشاط اجتماعي وذهني، وحوار تنويري من شخص ناضج.

إنه يحتاج ليدٍ تربت على كتفه وتسمع له ولا تنهره عندما يصرح بمشاعره، صوت هادئ يبعث الثقة فيه ويدلّه كيف يتأكد أنه حب حقيقي، شخص عاقل يقف بجواره حتى لا ينزلق. لن تصل سهام الكلمات إلى مرماها لو أخبرناه صراحة أن هذا ليس حبًّا وإنما هو

مجرد إعجاب، فهو يعيش الحالة بكل ما فيها من ثوراتها، وعاطفته تغلب على عقله، والمادة المحسوسة والمرئية عنده أقرب للتصديق من الأفكار والمبادئ والحقائق النظرية، هو لا يرى إلا لحظته، وينتظر مستقبلًا ورديًّا يتحقق فيه حلمه بالارتباط بهذا الآخر الغائب.

سيسميه الحب الأول، وهو ليس الحب الأول بالطبع، وإنما هو شيء يشبه أول مرة تتذوق فيها الشوكولاته، أو أول مرّة تتذوق فيها حلوى لذيذة تتعرف إليها لأوّل مرّة، أو أوّل مرّة تركب فيها لعبة في إحدى المدن الترفيهية فتصعد بك لأعلى ثم تنخفض فجأة فتشعر بشيء ما في صدرك.

أول استثارة لأحاسيسك ومشاعرك، لكنه ليس الحب الأول، فالحب شيء أعمق وأكبر من أن يولد فجأة، الحبّ أحجية الوجود التي حيّرت العقول، بناء ضخم يحتاج لوقت ليُبنى، يستقر أساسه بالمواقف الصادقة، والتعامل بشكل صحيّ، لا تظنوا أنه لن يولد إلا بمغامرات كما أُشيع لسنوات وأنّه لابد من طرق خيالية بها معاناة وصراعات، ليس شرطًا أن يولد قبل الزواج!، وحرارته لا توجد فقط في فترة الخطوبة كما يقولون، ولنفتح نافذة على بيتك أنت وراقب معي.

والدتك، أتذكر تلك الليلة عندما كان والدك في سفر وتأخر في عودته؟

هل تذكر وجه أُمك وملامحها، وتلك الدموع المحبوسة في

عينيها وهي تتردد على النافذة، خوف وقلق وفزع. ترفع الهاتف كل دقيقتين لتتأكد أن الحرارة موجودة، ركوضها في صالة البيت من آن لآخر لتنصت خلف الباب لخطوات من يصعد على الدرج، وتلك الخيبة التي تكسو ملامحها عندما لا يطرق الباب. إنها تنتظر عودة والدك، القلق ينهش قلبها؛ لأنها تحبّه، أرأيت اختفاء كل هذا بمجرد رؤيته وكيف تحولت إلى زهرة نادية الأوراق أطلقت شذا عطرها عندما هلّ والدك عليها؟

ذاك هو الحب، أن تخاف على حبيبك من الخطر وتقلق عليه، وتسعد لسلامته من كل سوء.

والدك؛ هل تذكر عندما مرضت أُمّك؟

هل رأيته وهو يخفي دموعه عنكم؟، وهرولته في البيت ليحاول أن يقوم بما كانت تقوم به ليخفف عنها، ووقوفه لساعات في المطبخ وهو يحاول أن يعدّ لكم طعامًا وربّما لا يتقنه لكنه.. يحاول!

يغتصب ابتسامة ليبثّ فيكم الأمان، لكن الخوف والقلق ينهش فؤاده المتهرئ لوجع حبيبته وقرّة عينه، سيذبل حتى تشفى هي وتنتعش، ولن يرتاح إلّا عندما يراها نضرة أمامه وسالمةً من كل سوء.



ذاك هو الحب، أن تتوجع لوجع حبيبك ويمرض فؤادك فلا يشفى إلا بشفاء بدنه.

وتلك الأزمة المالية التي ارتج لها بيتكم، قلّة المال، والظروف الصعبة، أرأيت كيف وقفت والدتك بجوار والدك؟ صبر جميلٌ وتدبير للأمور، وربما تحمل ذهبها وتضعه بين يدي والدك ليبيعه ويستعين بثمنه على سد دين أو تفريج هم وكرب، عطاء بلا مقابل، فهي تريده هو أن يرضى، تذكر له أيامًا حلوة لم يحرمها فيها من شيء، وحان وقت الوفاء. ذاك هو الحب؛ على الحلوة والمرّة. كل نظرة حبّ بينهما على استحياء وأنتم حولهم، تربيتة يده على كتفها، كوب الشاي بإتقان لحبيبها، اللقمة التي يرفعها لفمها، ملابسه التي تغسلها بيديها وقلبها، وجلوسهما في سكينة على الأريكة بالبيت وأنتم تنظرون. وتلك الليالي وهي توقظه ليصلي، والنهارات الحلوة وهو يقرأ معها القرآن، واللحظات الصافية وكلاهما يستغفر الله، والبركة وهما يكثران الصدقة والعطاء للفقير والمحتاج، فك الكربات عن المحزونين، وتذكرتها له بصلة رحمه، وتذكيره لها بهجر معصية. ذاك هو الحب؛ أن تخاف على حبيبك من نار الآخرة، ولا تكون سببًا في دخوله النار عندما تدفعه إلى معصية بدافع الحبّ!



نعم أنت تنضج، وهناك تغير في نفسك، تغير لا يظهر كتلك الغلظة في صوتك، والشاب والذقن الكثيفة، ولن نراه كما نرى تغير قوامك يا ابنتي، ولن نسمع نعومته في صوتك. أنتَ تميل إلى الجنس الآخر، فاصبر على نفسك، صلِّ فالصلاة ستعينك وتحصّنك، ابحث عن صحبة صالحة، واشغل نفسك وذهنك بشيء نافع، إيّاك والفراغ، واحذر الوحدة، حتى لا تكون فريسة للشيطان ليسلسلك عندما تتعلق بالهوى وأحلام اليقظة السلبية التي تسلبك الوقت وتمنعك من إنجازات حقيقية على أرض الواقع. اجعل لك نظرة مستقبلية، انظر إلى نفسك بعد أعوام، وحدد الخطوات التي لا بد أن تخطوها لكي تكون مؤهلًا للارتباط بشخص آخر تكمل معه مشوار حياتك. لن تستطيع القفز فجأة، الطريق يشبه الدرج، ارتقاء وانتقال من مرحلة لمرحلة تليها، تدرج لأن الأمر بناء بيت جديد وحياة جديدة، تعليم على مراحل، كسب مشروع، إقامة بيت وسكن، وتأهيل لتحمّل مسئوليات جديدة والقيام بأداء واجبك كما يليق، فأنت ستُسأل عنها، وهي ستسأل عنك، وكلاكما سيسأل عن الأبناء وحق الله عليكما، لا بد أن تنضج لكي تختار بطريقة سليمة، وحتى يتحقق الإشباع النفسي والارتواء العاطفي الصحيح، وتسعد مع شريك حياتك.

وليكن حلمك بكل آخر يقربك لله، وقلب خاشع يرتل القرآن معك، وحب صادق لأنه في الله.

***

✍ **منارة حبّ**

الحبّ هو: أن يكون اللقاء هناك، على الصراط، خلف النبي ﷺ، تحت ظلّ العرش، تهرولان معًا؛ لأنك أحببتها في الله، وأحبّتك فيه، فأحبّكما سبحانه معًا.

***

١٢
الحبّ والغيرة

من مفسدات السعادة بين الزوجين؛ الغيرة الشديدة، وهناك فرق بين أن تغار على زوجتك (أو أن تغاري على زوجك)، وبين أن تشكك في تصرفاتها وكأنّها متهمة.

التفتيش في الهاتف، الهجوم فجأة عليه أو عليها أثناء استخدام الحاسوب، التحقيق إن حدث أي موقف عابر مع طرف ثالث.

قد نرى طرفًا من الطرفين يسئ الظنّ ويتهم كلّ كلمة ونظرة وهمسة من الطرف الآخر ويوجهها إلى غير وجهها، ويلومه ويعاتبه مرارًا وتكرارًا، وهذا بسبب الغيرة الشديدة.

ربما لأنه يعلم أن الطرف الآخر مميزٌ وجذاب، أو به شيءٌ لافت للنظر، فتجده يتحرّق غيرة عليه، وتشتعل في صدره النّار لو رأى أن هناك من ينظر إليه أو يتحدث معه أو حتى يقترب منه.

أنت أمام كتلة من النار لو صرخت في وجهها لازدادت اشتعالًا، وفي نفس الوقت أنت لست متهمًا إن كنت تتصرف في حدود الضوابط الشرعية ولا تقْدم على شيء ليُبرر هذا الشك الذي ليس في محلّه، ولكن فلتتحمل الطرف الآخر ولتعالج الأمر بحكمة ورويَّة. فربما هو أحسن الناس ظنًّا وأوسعهم نفسًا وأكثرهم صبرًا وأشدّهم احتمالًا وأرحبهم صدرًا ثم لا يحتمل منك شيئًا بسيطًا أو موقفًا لا يُذكر، فتركيبته النفسية وشخصيته تحتاج إلى تأكيد منك لهذا الحبّ الذي تحمله له، تأكيد لفظي، ومعنوي، وعملي.

- لا تهمل أن تخبر زوجتك أنك تحبّها كلّ يوم إن كانت تحبّ ذلك وتسألك كثيرًا هل تحبّها أم لا، فقد تكون كلمة "أحبّك" أهم لديها من خاتمٍ ثمين، وقد تكون سببًا في استقبالها لليوم كله بنفس راضية.
- لا تتأخري عن إخبار زوجك بكل خطوة أو قرار بسيط طالما هو يسأل دومًا ويحبّ ذلك، فسد باب الريبة والشك يجعله هادئًا وتذكري أنه يغار لأنه يحبّك.

- لو كنت ممن يغار بتلك الطريقة فحاول أن تضبط ردّ فعلك، وتسيطر على تصرفاتك، فأنت لا تتعامل مع طفل تربيه، ولا مع عصفورٍ في قفص تقتنيه، بل هو شخص آخر له كينونته الأخرى، يتلقى ممن حوله إشارات، ويتفاعل بطريقة تختلف عنك، فإن كنت على يقين بنقائه وأنّه يغضّ بصره، ويتعامل في حدود ترضي الله عزّ وجلّ ولا تغضبه فاطمئن، ولا تجعل غيرتك عليها تظهرك في مظهر المهتزّ الغير واثق في نفسهِ فتسقط هيبتك، أو ربما تلفت نظره لشخصٍ آخر وهو لا يفكر فيه فتبدأ في التمهيد للفتنة لتستوطن قلبه.

كم من زوجة ظلّت تتحدث عن فلانة وظلّت تلوم زوجها على اهتمامه بها وهو لا يهتم حتى انتبه وبدأ يفكّر فيها. وكم من زوجٍ ظلّ ينبه على زوجته أن لا تنظر إلى فلانٍ أو تحدّثه أو تذكره حتى جعلها تفكّر فيه رغمًا عنها. كلما كانت سمات الشخصيتين أقرب للالتزام بأحكام ديننا الجميل، كغض البصر، وعدم الخضوع في القول، والالتزام بالحجاب الشرعي وتشريع الاستئذان حتى لا تقع عين خائنة على عورة غافلة فيقع ما لا يحمد عقباه، وتقوى الله التي تزن

الأمور كانت الغيرة أقلّ والثقة أكبر. ومن مقاصد الشريعة الإسلامية صيانة الأعراض ليصلح المجتمع وتنتظم الحياة، وفي سبيل تحقيق هذا المقصد وضع الله لنا ثوابت وسد كل الطرق المفضية إلى الرذيلة، ووضع بين الرجال والنساء حدودًا من تجنبها سلم وغَنِم، ومن تعداها عطب وأثم، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون. والمحبُّ يغار على حبيبه بفطرته، فقد غار سيدنا علي بن أبي طالب على زوجته «فاطمة» حتى أنه قال شعرًا فيها غيرة من عود الأراك (السواك) عندما رآها تستاك به، فقال:

وهنئت يا عود الأراك بثغرها ... أما خفت يا عود الأراكِ أراكَ؟

لو كان غيرك يا أراك قتلته! ... ما نال منها يا ســواكُ سواكَ

والغيرة تفرح، فمن يغار عليك يحبّك.. والغيرة على محارم الله أعلى وأكبر. والله يغار، ومن أجل غيرة الله حرّم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن. عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال:

بلغ النبي ﷺ أن سعد بن عبادة رضي الله عنه، يقول:

«لو وجدت مع امرأتي رجلًا لضربته بالسيف»

فقال النبي ﷺ:

أتعجبون من غيرة سعد، فو الله لأنا أغير من سعد، والله أغير مني.

ومن غيرة الله تعالى أن الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شخص أغير من الله تعالى، ولا شخص أحب إليه العذر من الله، فمن أجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين، ولا شخص أحب إليه المدح من الله تعالى؛ ولذلك وعد الجنة. ونحن هنا نتحدث عن بيوت لأزواج يتقين الله، فلو كان الزوج يرضى أن يجلس بجوار زوجته وهي تراقب بطل المسلسل وتتغزل فيه وهو راضٍ فكلامنا بعيد عنه، وإن كانت الزوجة تجلس بجوار زوجها وهو يشاهد أغنية بها فتاة ترقص بلا حياءٍ فكلامنا بعيدٌ عنها، والغيرة لديهما قد ماتت ودفنت منذ زمن. ذهب رجل إلى ابن عباس وقال: أريد أن أتزوج جاريتك فلانة، رأى ابن عباس الرجل يصلي في المسجد فأراد أن يكون صادقًا في النصح لأنها استشارة زواج ولا بد من قول الحق، فقال:

- أنا لا أرضاها لك، إنها تتطلع إلى الرجال. فقال الرجل:

- وما في هذا عيب!!

فقال ابن عباس عندما رآه يرضى فعلها هذا:

- إذًا، أنا الآن لا أرضاك أنت لها.

سبحان الله!، هذا الرجل لا يرى في نظر الجارية للرجال وتطلعها لهم عيبًا، لا يغار، لا يراه إثمًا أو ذنبًا. وإن قبل هذا فلن يكون أهلًا للأمانة، ولن يحافظ على حقّ الله فيها.

كان النبي صلى الله عليه وسلّم يغار، وكان سيدنا عمر بن الخطاب يغار، وكذلك سيّدنا عثمان رضي الله عنه، لما تسور عليه القتلة البيت، وأرادوا قتله، قال لنائلة زوجته:

ادخلي فاحتجبي، إن قتلي أهون علي من أن يرى شعرك أجنبي.

ولهذا فالأمر مقسوم على اثنين، وموزع على كفّتين، فلكي يتزن البيت وتستقيم الأمور لا بد من احترام الطرفين كلاهما للآخر. إن كان هو يغار؛ تحمليه وأطيعيه ليطمئن ويهدأ، هي تغار؛ احتويها وابذل الأسباب لكي تطمئن وتسكن.

أيّها المُحبّ، قدّر شريك حياتك وقدّمه بشكل يليق في محيط أسرتك، أظهر أمام الجميع أنك تقدره وتحترمه دون أن تتعدى حدود



اللياقة، ساعده ببعث الطمأنينة بنظرة وكلمة حلوة ولفتة جميلة طالما هو من النوع الذي يحتاج إلى هذا، عامله وكأنّه طفل صغير يحتاج إلى معزز ومكافأة من آن لآخر ليهدأ ويفرح، ومكافأته هنا هي "الحب"، وكلما تعمّق الحب ازدادت الثقة.

***

✍ **منارة حبٍّ**

الحبّ هو: أن تسقي زوجتك من رحيق الحب الحلال، وتسقي زوجك من الرضا ما يشبعه ومن الحنان ما يرضيه، ومن الصبر على الدنيا ما يهنئُه معك.

❊ ❊ ❊

١٣
حبٌّ من طرف واحد

قد تقبل بكل جوارحك على حب طرف آخر، خاطب تستعدين للزواج منه، وفجأة ينصرف عنك ويبغضك، أو ينسحب بهدوء مما يجرحك. أو زوجة تبذل كل جهدك لترضيها وتراها فجأة تطلب الطلاق، ومهما اجتهدت فالأمر محسوم بالنسبة لها. حبٌّ من طرف واحدٍ، ونفور من طرفٍ آخر لسبب أو بلا سبب، وقد يتدخّل البعض للإصلاح بينكما، رحمة بك ونصحًا للطرف الآخر لعلّه يتراجع عن قرار الانفصال.

دعونا نقتبس ومضة من العصر النبوي، إضاءة نستنير بها. أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما:

أن زوج «بريرة» كان عبدًا يقال له «مغيث»، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ لعباس:

«يا عباس، ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا!»



فقال لها النبي ﷺ:

«لو راجعتِه»

قالت: يا رسول الله، تأمرني؟

قال: «إنما أنا أشفع»

قالت: لا حاجة لي فيه!

في هذا الحديث بيان عظيم حسن خلقه ﷺ ورحمته بأمته من وجهين:

شفاعته لدى "بريرة" رحمة بمغيث، وعدم إلزامه «بريرة» أن تعيش مع من لا تحبه، مع شدة حبه لها حتى كان يمشي وراءها يبكي في الطريق! سبحان الله! ولو أراد النبي ﷺ إلزامها لأمرها، وكانت ستمتثل. لكن رسول الله ﷺ يعلمنا أن أمور الحب بين الزوجين والتوافق بينهما لا مدخل فيها لآخر مهما بلغت مكانته، لا أبوها ولا أمّه، ولا الأصدقاء ولا الأشقاء، فلا يجوز لأحد بعد النبي ﷺ أن يخلط بين الشفاعة والإلزام في مثل هذا، ولاسيما إن كان أحد الطرفين يريد أن يصون الود القديم عن إبداء أسباب للفراق تسيء للطرف الآخر، سترًا له وحفظًا لصورته أمام الجميع، فلا ينبغي الإجبار والإكراه. فإن غضب الشافع، فليس ذلك من حقه، ولا يجوز اللوم في هذا أصلًا!



ليس من حق أي شخص أن يحرك طرفًا وكأنّه قطعة شطرنج أو تمثال يضعه هنا أو هناك. ومن الآفات الخلط بين مقام الشفاعة أو النصيحة ومقام الأمر والإلزام، وترتيب مقتضى هذا على ذاك! قال الحافظ ابن حجر في فوائد هذا الحديث:

فيه جواز مخالفة المشير فيما يشير به في غير الواجب، واستحباب شفاعة الحاكم في الرفق بالخصم حيث لا ضرر ولا إلزام ولا لوم على من خالف. وأن الحب والبغض بين الزوجين لا لوم فيه على واحد منهما؛ لأنه بغير اختيار، ولو وصل إلى حد النفور فلن تتحقق السكينة، وسيحطّم طرف على حساب الآخر. وأن المرأة إذا أبغضت الزوج لم يكن لوليها إكراهها على عشرته، وإذا أحبته لم يكن لوليها التفريق بينهما. في الحقيقة أنه من ليس لديه بوصلة واضحة وهدف واضح وثوابت لا تغيب عن نظره يسقطها على علاقته بشريك حياته وهو يختاره قبل الزواج أو حتى بعد الزواج منه؛ يتحول بسهولة إلى لعبة أو تابع للآخرين يحركون عقله وقلبه كما يريدون. هذا حقك إن أبغضت خطيبك أو خطيبتك ورأيت لسبب معتبر أن حياتك معه ستتعسك، وأنك ما عدت تتحمل منه المزيد، فإن رأيت بعد سماع النصح ووزن الأمور أنك تختنق، وربما تتعسه وتتعس نفسك ببقائك

معه- وهناك ظلم بيّن عليك لو أكملت معه الطريق، أو لعيب عظيم فيه أو معصية يرتكبها أو خلل في شخصيّته؛ أن الصواب هو الانفصال عنه رغم حبّه لك فالقرار لك وحدك ولن يجبرك أحد مهما بلغت مكانته. وأمّا أنت أيّها المكلوم، فليس سهلًا أن تحب شخصًا وتجده يفرّ منك، ألمٌ شديدٌ ووجع لا يوصف، انكسار، حزن، طعنة في الفؤاد.. ولكنك نسيت أيّها الطيب أنّك دعوت بنفسك أن يتم هذا الأمر من قبل، أتذكر دعاء الاستخارة؟ ألم تقلها بنفسك وأنت ساجد، وأنت متوضئ، وقبل أن تسلّم لتنهي صلاتك، وأنت منكسر بخشوع بين يدي الله تسأله أن يدلّك ويلهمك رشدك وأنت تختار، ألم تقلها وأنت حائر؟

"اللهم إن كان زواجي من فلان (أو فلانة) شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجل أمري وآجله فاصرفه (أو اصرفها) عني، واصرفني عنه (أو عنها) واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به."

واستجاب الرحمن الرحيم، وصرف القلب عنك، ورأيت بنفسك أنه يزهد فيك، ورغم إقبالك عليه يدبر، ورغم حبّك له ينفر، ورغم اقترابك يبتعد!، سمعك ربك وهو سبحانه أعلم بحالك وبالغيب خيره وشرّه؛ فصرف ما تتمناه عنك، وأبعده لخير لا تعلمه، ستواجه حتمًا ألم الفراق، وجع الذكريات، وحنينًا إلى تلك السعادة التي طافت في

نفسك وتركت بصمات، ولكن لا تحزن، سيتحول الأمر بالتدريج لجرح ذبل واختفى ألمه ثم ترك ندبة خفيفة، ستشعر أحيانًا بألمٍ خفيف لو تحسستها في البدايات، فامسح على أوجاعك واستعن بالله، فشفاء الأرواح بيديه وحده، واسأله أن لا يعلّق قلبك بما لا يرضاه لك، وكن في معيّته لتسكن نفسك. ثم بعد فترة ستشفى نفسك وستنسى الوجع، ويسترد فؤادك عافيته، وترفرف روحك فتتعجب من نفسك التي صارت أنقى وأصفى!، بعض الأوجاع أحيانًا تحدث في النفس انكسارًا يرقى بها في السماء، وجع ينقيها من الكبر، يجعلك تفيق على حقيقة الدنيا، ويهيئك أحيانًا لأنك ستلتقي بروح جديدة ستكون هي البلسم الشافي والرواء لجدبٍ حلّ بقلبك. ومن الجميل أن الحبّ يزهر من جديد على أرض أخرى عندما تطير وتحلّق بقلبك في سماء أرض أخرى، وروح تحبّك كما تحبّها، حبٌّ من طرفين، فالحبُّ أخذٌ وعطاء.

* * *

✍ **منارة حبٍّ**

الحبّ هــو: رغبة متبادلة، وامتزاج لروحين، وسعادة تشبعهما معًا، فالحبّ لا يقوم على ساق واحدة، ولا يعيش برئةٍ واحدة.

* * *

١٤
كيف تختار زوجتك ؟

وددت أن أكتب مقالًا للشباب، يعينهم ليحسنوا اختيار الزوجة الصالحة، ورجعت لمقالات عدّة أثناء إعدادي للكتاب، فوقعت على كنز ورأيت أن أضعه بين أيديكم، فذاك المقال لا بدّ أن يطّلع عليه كلّ شاب مقبل على الزواج، وهو بعنوان «زوجتي» للشيخ الجليل علي الطنطاوي.

يقول الشيخ/ علي الطنطاوي رحمه الله في ذكرياته أنّه سعيد بزواجه، ومستريح في حياته مع زوجته، ويقرّ بفضل الله عليه، وأراد أن يذكر حسنات زوجته إجلالًا وحبًّا لها، ولكي يستفيد الشباب من تجربته. ويوضّح الشيخ الجليل أنّ المعايير التي اختار بها زوجته هي سبب سعادته، وكتبها في تسع نقاط ليستفيد منها كلّ راغب في الزواج. سأضع لكم تلك النقاط باختصار، يقول الشيخ:

(**أولها**: أني لم أخطب إلى قوم لا أعرفهم، ولم أتزوج من ناس لا صلة بيني وبينهم)

أعجبني اختيار الشيخ لتلك النقطة ليبدأ بها، فذاك هو الخطأ الذي يقع فيه شبابنا عندما يتزوجون ممن لا يعرفون عنهم أي شيء، لا طباعًا ولا سلوكيات ولا حسنات ولا سيئات، فينكشف لهم بالمخالطة خلاف ما سمعوا من هنا وهناك. فمن الصحيّ أن يطلع الشاب على حياة من سيتزوجها في بيتهم، ويطلعوا هم على حياته عن قرب، فالتعارف والتزاور وتبادل الحوارات ودعوات متبادلة على موائد الطعام قد تفيد، أمّا ما نسمعه من انقطاع تام بين العائلتين فلا يحدث تواصل ولا تعارف إطلاقًا إلّا زيارة كل شهر أو لا زيارات ولا حوارات وكأنّهم يشترون شيئًا! وينتظرون موعد وصول الطرد- وهو العروس- بحجّة أنّ هذا أفضل، فهذا غير مقبول، فالزواج يحتاج لمساحة ودّ لتنكشف بعض الطباع والعادات.

وأضاف الشيخ بعد شرحه لتلك النقطة أمرًا هامًّا آخر، قائلًا:

(**والثاني**: أني اخترتها من طبقة مثل طبقتنا)

وكلام الشيخ هنا المقصود به التكافؤ الاجتماعي، فعندما يتزوج الشاب من فتاة وضعها الاجتماعي قريب من وضعه ييسر هذا سبل الالتقاء الفكري وغيره، المعيشة والحياة، وطريقة الكلام، والملابس،

وحتى العادات البسيطة ركن وثيق في صرح السعادة الزوجية، وكما نرى أحيانًا بعض العائلات تكره زوجة الابن لأنّها قالت كذا أو فعلت كذا رغم أنّ هذا أمر عادي في طبقتها الاجتماعية وبيئتها التي تعيش فيها. لهذا تخير من طبقة مثل طبقتك.

ثم انتقل الشيخ للحديث عن الثقافة والتعليم؛ حيث قال:

(**والثالث**: أني انتقيتها متعلمة تعليمًا عاديًّا، شيئًا تستطيع به أن تقرأ وتكتب، وتمتاز من العاميات الجاهلات، وقد استطاعت الآن بعد ثلاثة عشر عامًا في صحبتي أن تكون على درجة من الفهم والإدراك، وتذوق ما تقرأ من الكتب والمجلات، لا تبلغها المتعلمات)

كان هذا اختيار الشيخ، وكانت زوجته على قدر من الذكاء مما جعلها ترتقي لمستوى الحاصلات على شهادات أعلى منها. لكنّ الأمر يختلف من شاب لآخر، فقد لا تقبل أنت هذا فلك حرية الاختيار، أن تختارها مهندسة مثلك، أو معلمة مثلك، أو طبيبة مثلك، أو حاصلة على شهادة تكافئ شهادتك فالأمر لك. المهم ألّا تقيّم الفتيات فتضعهن في القمّة إن كنّ خريجات كليات القمّة وتصنّف الباقيات كلهن في القاع لأنهن لم يدخلن كليات القمّة! فقد أخبرتني

فتاة حاصلة على شهادة ممتازة أنّ هناك شابًّا يود خطبتها ولكن على شرط! أن تكمل دراستها قبل أن يخبر أهله، وإلّا فالأمر بالنسبة إليه صعب لأنّه طبيب. وكانت قد أنهت دراستها وتشعر بالضغط الشديد من طلبه لهذا الأمر. رغم أنّه مقتنع بها كإنسانة فهو يراها أقلّ منه رغم أنّها حاصلة على بكالوريوس! وهذا تفكير خاطئ منه، وتقييم غير عادل للفتاة. كما رأيت طبيبة ترفض الزواج من مهندس! لأنّها ترى أنّها أفضل منه لأنّها طبيبة، وتلك أصابتني بالذهول!

وتحدّث الشيخ عن الجمال، وذاك حلم كلّ الشباب، فقال كلامًا يوزن بالذهب عندما قال:

(**والرابع**: أني لم أبتغ الجمال، وأجعله هو الشرط اللازم الكافي كما يقول علماء الرياضيات؛ لعلمي أن الجمال ظل زائل لا يذهب جمال الجميلة، ولكن يذهب شعورك به، وانتباهك إليه، لذلك نرى من الأزواج من يترك امرأته الحسناء، ويلحق بمن لسن على حظ من الجمال)

أيّها الابن الكريم، قد تتوق نفسك لزوجة جميلة، وهذا حقك، حقك أن تختارها بيضاء إن أحببت، وشقراء إن أردت، وسمراء إن رغبت، رفيعة أو طويلة أو أي صفة مما تميل إليه نفسك، فأنت تتزوج لتعف نفسك وتغض بصرك، ولكن لا تجعل هذا هو الشرط الوحيد لاختيار زوجتك،

فهناك أمور أخرى لا بدّ من أخذها في الحسبان، فأنت بشر وهي بشر، وقد تمر عليكما لحظات لا يكون للجمال فيها قيمة، وتحتاجان فيها للأصول والأخلاق والمعدن النقي، فاجمع بين كل هذا وتخيّرها جميلة ذاك الحد الذي تستقر له نفسك وتقرّ به عينك، ولا تنتظر الكمال، فكلّ إنسان لديه عيوب، وأنت لديك عيوب، والكمال لله وحده.

وتحدّث الشيخ عن أهمّ نقطة في نظري، وهي علاقته بأهل زوجته، فقال:

(**والخامس**: إن صلتي بأهل المرأة لم يجاوز إلى الآن، بعد مرور قرن من الزمان، الصلة الرسمية، الود والاحترام المتبادل)

وكما ترون، كان الشيخ قاضيًا، ومرّت عليه الكثير من المشاكل بين الأزواج، ولعلّ تلك الحدود الرسمية هي مفتاح الاستقرار لأيّ زوجين، فتدخّل الأهل بشكل مبالغ فيه يجعل الأمور أكثر حساسية ويعرض الأسرة للكثير من المشاكل. لا بدّ من وجود منطقة خاصّة بالزوجين فقط، المشاكل التي تخرج عن حدود البيت تكبر وتتعملق، وحتى لو انتهت بين الزوجين نفسيهما فالأب لا ينسى، والأم تظل مقهورة على ابنتها، فلا تنقلا ما حدث بينكما للوالدين؛ لأنّكما ستنسيان الأمر لكنّهما لن ينسياه. ووالله لو ترك الزوجان المختلفان، ولم يتدخل بينهما أحد من الأهل، لانتهت المشاكل.

والآن تعالوا لنقطة لطيفة قالها الشيخ بأسلوبه المحبب إلى القراء؛ حيث قال:

(**والسادس:** أننا لم نجعل بداية أيامنا عسلًا كما يصنع أكثر الأزواج، ثم يكون باقي العمر حنظلًا مرًّا؛ وسمًّا زعافًا، بل أريتها من أول يوم أسوأ ما عندي، حتى إذا قبلت مضطرة به، وصبرت محتسبة عليه، عدت أريَها من حسن خلقي، فصرنا كلما زادت حياتنا الزوجية يومًا زادت سعادتنا قيراطًا)

صدق الشيخ، الحياة ليست كلّها عسلًا، وليس هناك شهر واحد فقط للسعادة! لا توجد مثالية، وليس هناك شخص كامل، أنت لديك عيوب، وكذلك زوجتك، والحياة ليست وردية على الدوام.ولكن رجاء لا تتعللوا بما فعله الشيخ فتظهروا لزوجاتكم ما ينفرهن من الزواج من أوّل يوم، فلا أظنّكم تملكون حكمته، المقصود أن تكون تلقائيًّا وعلى طبيعتك، وتتقبل أنّ الطرف الآخر ليس ملاكًا يمشي على الأرض، وأنه نفس ستضيق أحيانًا وتملّ أحيانًا وتخطئ أحيانًا.. وأن يرى هو هذا فيك.

(**والسابع:** أنها لم تدخل جهازًا وقد اشترطت هذا؛ لأني رأيت أن الجهاز من أوسع أبواب الخلاف بين الأزواج)



وعندما كتب الشيخ عن النقطة السابعة، تحدّث عن أمر كان هو الأصل، لكن العرف والتقاليد وما آل إليه حال الزواج في مصر قلب الأمور، فأصبح الزواج صفقة، وارتفعت تكاليف الزواج بما لا يطيقه الأب ولا الشاب نفسه، لو عدنا للأصل ورضيت البنات لحال الخاطب وحتى لو كانت شقته من غرفتين وجهزها على قدر إمكانياته لتيسر الزواج، ولو توقف الأهل عن اشتراط المهر والحفلات وغيرها من أشياء ترهق الطرفين لكان الأمر أيسر. فليت البنات ترضى وتتنازل، وليت معايير المجتمع ترجع مرّة أخرى لتكون أمور الزواج أكثر يسرًا ورحابة.

(**والثامن**: أني تركت ما لقيصر لقيصر، فلم أتدخل في شؤونها من ترتيب الدار وتربية الأولاد، وتركت هي لي ما هو لي، من الإشراف والتوجيه)

جميل جدًّا ما فعله الشيخ بحكمته، جعلها تشعر أنّها ملكة في بيتها، أعطاها مساحة تعيشها وتثبت وجودها فيها، حمَّلها مسئولية البيت وهو يراقبها، وهو بجوارها، ولم يتركها. وكثيرًا ما يكون سبب الخلاف إصرار الرجل على التدخل في كل صغيرة وكبيرة في البيت، حتى أنّ بعض الأزواج يتدخلون بشكل مرضي في حياة زوجاتهم.. في ما تأكله، فيختار على مزاجه وكأنّها لا تشتهي شيئًا! وساعة نومها وموعد استيقاظها! ويؤنبها لو غيرتها، وما تقرأه، وكأنّها لا

تشعر، وليس لديها رأي ولا شخصية؛ مما يسبب تضجرها وتتصاعد الخلافات. ويطالبها بطاعته في تلك الأمور بحجة أن ذلك من طاعة الزوجة لزوجها، وبعض الزوجات تصمت وتتراكم داخلها المشاعر السلبية فتشعر بالضغط، وقد تنفجر في أيّ لحظة.

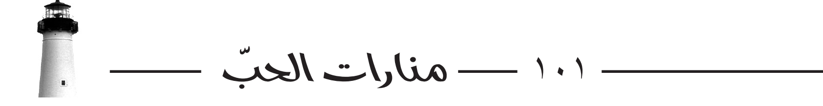
وأنهى الشيخ كلامه بنقطة بدت كمظلة كبيرة تمثّل حماية للبيوت، حيث قال:

(**والتاسع**: أني لا أكتمها أمرًا ولا تكتمني، ولا أكذب عليها ولا تكذبني)

الصدق والصراحة أقصر الطرق للنفس، أخبر زوجتك بوضعك المالي، وأين ستذهب، وأين كنت ولا تترك لها المجال لتقلق وتسألك، أخبريه عمّا يقلقك، أخبرها عن سبب ضيقك منها إن وجد، أخبريه عن أخطاء الأبناء واستشيريه، الكذب والكتمان والغموض وإخفاء بعض الأشياء يؤلم الزوجة، كما يؤلم الزوج. لا أسرار بين الزوجين، فكلاكما كنفسٍ واحدة.

وأخيرًا، ختم الشيخ الجليل مقاله الموجه للشباب بكلام جميل عن زوجته، وعن نساء العرب؛ حيث قال:

(إن نساءنا خير نساء الأرض، وأوفاهن لزوج، وأحناهن على ولد، وأشرفهن نفسًا، وأطهرهن ذيلًا، وأكثرهن طاعة امتثالًا وقبولًا، لكل نصحٍ نافع وتوجيه سديد)



انتهى مقال الشيخ.. وذاك أصدق ما بين دفتي كتابي من كلام، رحم الله الشيخ وجزاه عنّا كلّ خير. فاتخذوه قدوة وكونوا على الدرب، لعلّكم تسعدون مثله.

***

✍ **منارة حبٍّ**

الحبُّ هو: ألّا تغيب هي عن لسانك في دعوات السحر، ولا تغيب أنتَ عن لسانها في سجدات الليالي وابتهالات الفجر.

❋❋❋

١٥
بيني وبينكن

دار حوار بيني وبين صديقاتي على شبكة الإنترنت، كنت أُعلّق على قائمة طويلة وعجيبة تمّ تجهيزها وتدوين فيها ما تحتاجه العروس من طلبات لبيتها، أدوات للمطبخ، والكثير من الأجهزة، والملابس، والبطاطين، وأغطية الفراش بأشكالها وأنواعها المختلفة، أمّا التفاصيل الدقيقة فأذهلتني، تحدثت بعضهن عمّا اشترته ولم تستخدمه، وأخريات ضحكن معي وأخبرنني أنهن لم يحضرن القائمة بالكامل، وهناك من قالت إنّ أمّها تصرّ على شراء كذا وكذا حتى لا يقول عنهم الناس أنّهم قصروا تجاه ابنتهم، يستدينون ربّما لشراء كمالياتٍ حرجًا من النّاس لا أكثر!

المهم، في وقت آخر أردت أن أستكشف تلك الأمور في البلاد العربية الأخرى، فراسلت العديد من الفتيات من جنسيات مختلفة.

صديقتي سامية من المغرب تدرس التجارة وتحضر ماجستير، عندما سألتها عن أكثر ما يميّز الفتاة المغربية، وعن العرس المغربي وتكاليفه وكيف يعدون له، قالت:



قبل أن أستطرد في سرد تقاليد العرس المغربي، أشير إلى أن طقوس الزواج المغربي تختلف من منطقة إلى أخرى ومن مدينة لأخرى. يستعصي علي أن أخبرك بم تتميز الفتاة المغربية؛ لأنني مهما قلت فلن أوفي المرأة المغربية حقها، ثم إنني في ذات الوقت لا أحب أن أعرض صورة للمرأة المغربية بشكل مثالي.

سأقول ببساطة إن المرأة المغربية المسلمة مشهورة عامة بالحياء وبالحشمة والوقار، تلمس فيها روح الإنسانة الطيبة الكريمة العطوفة الصبورة.. تبتغي رضا ربها وبر والديها وخدمة زوجها ووطنها فأمتها.

للحديث عن الأعراف والتقاليد المغربية أبدأ أولًا باللباس الشعبي المغربي، نجد لباس الخروج وهو الجلباب المغربي الغني عن كل تعريف، أما في المناسبات فالنسوة يرتدين القفطان المغربي أو «التكشيطة»؛ وهي عبارة عن لباس من قطعتين داخلية وأخرى خارجية:

الداخلية تسمى القفطان والخارجية تسمى «الدفينة»، يوضع حزام يسمى «المضمَّة» بين أسفل الصدر وفوق البطن. يطرز بخيوط ذهبية

أو فضية ويصنع غالبًا من نفس ثوب التكشيطة. في أغلب الأحيان يتكلف العريس بتجهيز البيت، إلا أن أهل العروس قد يساعدونه، كلٌّ حسب دخله وقدرته الشرائية. العرس المغربي يمر عبر مجموعة من المراحل كما هو الشأن بالنسبة لباقي الأعراس الشعبية العربية:

حفل الخطبة:

حفل يجتمع فيه أهل العروس والعريس، يشتري أهل العريس ثيابًا جديدة للعروس ترتدي منها القفطان المغربي، ويلبسونها خاتمًا في ذلك اليوم، ويفرق التمر والحليب على الحضور بعدما يقدَّم للمخطوبين.

يتم الاتفاق حول المهر في يوم الخطوبة، وغالبًا ما يتراوح المبلغ بين خمسة وعشرة آلاف درهم مغربي كمتوسط، بعض العائلات الميسورة تدفع أكثر، حسب ما تم الاتفاق عليه، قد يصل المبلغ إلى أكثر من أربعين ألف درهم مغربي. عندما تخطب الفتاة لا يسمح لها أبدًا أن تذهب لزيارة بيت زوجها قبل العقد إلا بدعوة من أهله ورفقة أحد أفراد عائلتها، بينما يمكن للعريس أن يزورها ببيت أهلها.

يمكن للمخطوبين أن يلتقيا في مكان عام سواء بمفردهما أو بوجود محرم.

ليلة الحناء:

تجتمع فيها عائلة العروس، هذه الليلة كما يدل اسمها تخصص لوضع الحناء للعروس ولزميلاتها وقريباتها، بعيد العصر تقريبًا وعند المساء تقوم امرأة وهي المسئولة عن التزيين بتزيين العروس والاهتمام بأناقتها. في هذه الليلة قد ترتدي العروس أكثر من زي واحد حسب كل منطقة وخصوصيتها- التكشيطة تبقى اللباس المشترك- تجتمع العائلة وتقوم النسوة والفتيات بالغناء والرقص احتفاء بالعروس فينشدن أغاني شعبية وأناشيد دينية. أما عن الذكور، يحضر إمام المسجد أو خطيب ليتلو بعض الآيات ثم إلقاء موعظة للشباب الحاضرين ويختتم المجلس بدعوات مباركة للعروسين ثم تقدم وجبة العشاء للضيوف.

في ليلة الحناء كل من عائلة العروس والعريس تحتفل على حدة. قد يحضر العريس لمشاركة عروسته حفلتها رفقة بعض أفراد عائلته، وأخذ بعض الصور التذكارية.



في صبيحة يوم الزفاف، أي في اليوم الذي يلي حفل الحناء، يكون هو يوم الزفاف الأكبر، ولكل منطقة خصوصيتها في هذا اليوم بالذات، في بعض المناطق، الأمازيغية التي أنتمي إليها مثلًا، يأتي أهل العريس لتناول وجبة الغذاء لدى العروس، حاملين الهدايا والألبسة التي سترتديها العروس في هذا اليوم بالتحديد ومنها «الشبكة» عبارة عن دملج أو دملجين وقلادة من الذهب، تقوم إحدى قريبات العريس بمساعدة العروس على ارتداء ثيابها الجديدة، بعد ذلك يصطحب العريس زوجته نحو السيارة المخصصة لهما لتنتقل معه إلى بيت أهله في المساء، وهناك تقام بقية الاحتفالات على إيقاع أهازيج أو موسيقى:

(الدقة المراكشية، العيساوية، العلاوي بالمنطقة الشرقية، الطقطوقة الجبلية بمنطقة الشمال، أحيدوز أو أحواش الأمازيغية.). أو أمداح نبوية وأناشيد بالنسبة للأسر الملتزمة.

البعض الآخر يفضل تقاسم مصاريف الزواج من وليمة وفرقة موسيقية- أو إنشادية- فيقام العرس بأكمله في بيت العريس أو العروس. من بين الطقوس يوم الزفاف أن العروس تحمل على ما نسميه «العمَّارية» تشبه الهودج تجلس داخلها وتحمل عليها العروسة وتقوم بالتلويح للحاضرين وتوزيع الابتسامات، ترحيبًا بالحاضرين. فيما

يخص وليمة يوم الزفاف، يوزع الشاي أولًا والحلويات بعد ذلك يقدم طبق مرق الدجاج المحمر المزين باللوز أو الزيتون ويليه طبق لحم الخروف أو البقر مزيَّنٌ بالبرقوق والمشمش الجاف مرفقين بمشروبات غازية، وأخيرًا طبق الفواكه للتحلية. أما عن الاختلاط، فبعض العائلات لا تجد حرجًا في اجتماع أفراد العائلة ذكرانًا وإناثًا للاحتفال، الأسر المحافظة والملتزمة على العكس لا تجد في أوساطها اختلاطًا..

للإشارة، خصوصية منطقة الشمال المغربي (كمدينة تطوان، طنجة) هي الوحيدة، كيفما كان مستوى تدينها، لا تكاد تجد فيها اختلاطًا البتة، سواء في فترة الخطوبة أو الحناء أو الزفاف.. تجدك أمام تجمع نسائي مئوي ابتداء من الحاضرات إلى طاقم التصوير والمنشدات، فالمسئولات عن تحضير وتقديم الوجبات.

في اليوم الموالي للزفاف، ترتدي العروس قفطانها، لتستقبل أهلها، الذين يحملون لها «الفطور»، يتكون الفطور من تشكيلة متنوعة من الحلويات المصنوعة باللوز والشوكولا وغيرها من الأطباق المغربية..

احتفاء بالعروس، تقدم إليها الهدايا، وغالبًا ما تكون إما عبارة عن طقم مصحف أو لوحات من آيات قرآنية، أطباقًا وأواني للمطبخ، تجهيزات منزلية، عطور، نقود، ديكورات للبيت وغيرها. تحملها لبيت الزوجية الجديد، أمّا عن مواصفات زوجي المستقبلي، ألخصه في حديث الحبيب ﷺ «من ترضون دينه وخلقه».

أنهيت الحوار معها وقد أعجبني العرس المغربي، وكنت أتخيّل العروس بين النساء وهي في «العمارية» التي تشبه الهودج، حتى أنني بحثت عنها على الإنترنت لأرى شكلها وهيأتها، ثُمّ تخيّلت المدح النبوي والإنشاد الديني، والعريس يجلس فرحًا ومشتاقًا لعروسه بين أهله وأصدقائه وأقاربه.

أمّا صديقتي «صافي علي» من الجزائر، وهي طالبة في كلية الطب، فتاة ملتزمة وخلوقة، عندما سألتها عن حفلات الخطبة والتحضير للزواج بالجزائر، وعن ملابسهن الشعبية المميزة والتي ترتديها العروس في زفافها كما رأيت الصور على شبكة الإنترنت، قالت لي:

الفتاة الجزائرية مشهورة بالطيبة والجمال وقوّة تحمّل الظروف الصعبة. أغلب حفلات الخطبة تكون حفلات عائلية بسيطة، حيث يأتي

أهل الخاطب ويقدّم لهم أهل الفتاة الغداء والحلويات، ثُمّ يدفع رجال العريس لرجال العروس المال المتفق عليه وهو المهر، وقيمة المهر المتوسّط تقدّر بخمسين ألف دينار جزائري فما أكثر، تشتري به العروس «محزمة» وهو حزام ذهبي من حلقات ترتديه يوم الزفاف. وليس للعروس بيت خاصّ بها بل تذهب لتعيش في نفس بيت العائلة مع أهله؛ حيث يُجهّز لها غُرفة واحدة، وحتى لو كان لها بيت خاصّ- وتلك حالات نادرة- يكون الزوج هو المسئول عن تجهيز البيت بالكامل. يوم الخطبة تُلبسها أمه الخاتم أو في حالات يدخل هو بسرعة يلبسها الخاتم. أمّا الذهب فلا يقدّم إلّا يوم «الحنة» أي الليلة السابقة للزفاف، وهو عبارة عن طاقم كامل من الذهب أو سلسلة وخاتم وقرط و«مسايس» وهي الأساور.

في الأفراح الزي المشهور في كثير من المناطق «الشدة» وهو لباس ترتديه العروسة يوم الحنّة وهو اليوم السابق للزفاف، وهناك أيضًا «الكراكو» و«القسنطينية» و«العنابية» و«اللباس القبائلي» وكلّها لباس تراثي جزائري يكون ضمن الجهاز الذي يُحضره أهل العريس هديّة للعروس. وأما التلمسانية وهي تاج مذهّب تلبسه العروس على الرأس فأحيانًا يستأجر وتشتريه بعض الفتيات حسب ثرائها، والمرأة التلمسانية هي أجمل نساء الجزائر.

أمّا في الحالات العادية كانت المرأة الجزائرية مشهورة بالخروج بشيء اسمه "الحايك"وهو نوع من الحجاب قطعة كبيرة من القماش تلفّها المرأة على كل جسمها كلّه.

ثُمّ أضافت صديقتي الخلوقة قائلة:

لكن ارتداءه حاليًا قليل.

واستطردت تصف لي كيف يتمّ الزواج:

الليلة التي تسبق ليلة "الحنة" خاصّة بالفتاة وحدها، حيث تدعو صديقتها وتُقام لهم مأدبة للعشاء من اللحم والكبد و"البزلوف" وهو رأس الخروف؛ لأنه يكون يوم ذبح الخروف واليوم الذي يليه وهو يوم الحنة تلبس المرأة حسب عادات منطقتها الرداء المعروف ب "الشدة"، ويقام حفل تُقدّم فيه أكلات شعبية مثل:

الحريرة، وطاجنُ الزيتون باللحم، وطاجنُ البرقوق واللحم المحمر على حسب الإمكانيات

وتقدّم الحلويات وتجلس العروس وتربط لها أم العريس (حماتها) الحنة على يديها. وفي يوم الزفاف الأوّل، يحضر العريس في موكب مع أهله ليأخذوا العروس حيث يُقام حفل الزفاف إمّا في بيت أهله

أو في صالة للأفراح، ويستمرّ الحفل ثلاثة أيّامٍ حسب المنطقة، وقد يكون أكثر من هذا ويصل إلى أسبوع. في حفل الزفاف تأتي فرقة دينية تنشد أناشيد خاصة بالعروسين.

في الصباح التالي لليلة الزفاف، يزور أهل الفتاة ابنتهم ويحضروا معهم "المسمن"، ثُمّ تقوم النساء بتقديم الهدايا للزوجين، قد تكون هدايا مفروشات مثل البطاطين والملاحف، وقد تكون نقودًا أو ذهبًا. في النهاية سألت صديقتي الجزائرية عن مواصفات فارس أحلامها فأخبرتني على استحياء:

أوّل ما أتمنّاه في فارس أحلامي أن يكون متديّنًا، وعلى دراية بأمور الدين، ثمّ أن يكون حاصلًا على شهادة دراسية، فأنا أدرس الطبّ، وليس شرطًا أن يكون طبيبًا مثلي، ولكن على الأقل يكون ذا مؤهل دراسي مناسب. ويكون مثقفًا ومقبول الشكل، وألّا يكون الفارق العمري بيننا كبيرًا. أيضًا أودّ أن يكون رومانسيًّا وطيبًا معي.

أنهيت حواري معها، ولاحظت أنّ التجهيز لزفاف الفتاة الجزائرية لا يُكلّف والدها تلك المبالغ التي نسمعها في مصر، ولاحظت أيضًا أنّها تعيش في بيت العائلة وعريسها لا يشتري إلّا غرفة واحدة!، وأنّ مهرها كلّه لها وتشتري به حزامًا من الذهب، ويهدى إليها أيضًا الكثير من الهدايا.

راسلت فتاة ثالثة من فلسطين تعمل معلمة رياضيات، اتخذت اسم "غصون مطر" كاسمٍ مستعارٍ على موقع الفيسبوك. كررت أسئلتي، فبدأت حديثها عن المرأة الفلسطينية قائلة:

المرأة الفلسطينية صبورة وكتومة، تحفظ سرّ بيتها وزوجها. الخطبة عندنا هي عقد القران بعد الجاهة والقبول والرضا والاتفاق على المهر، يتم عقد الشيخ والمحكمة، ثُمّ تقام وليمة كبيرة يذبح على شرفها العجول والخراف، وبعد أسبوع يقام حفل لكي يقوم العريس بتقديم الذهب لعروسه. «الشبكة» وتكون حسب مقدرة العريس (عقد وخاتم وقرط)، ترتدي الفتاة في زفافها «الثوب الفلسطيني»، وأحيانًا الثوب الأبيض. العُرس عندنا مقسم إلى ثلاث مراحل: ليلة الحناء، والزفة، والغداء.

ليلة الحناء أو "الحنّة" للعروس، وهو حفلٌ خاصٌّ بالنساء فقط، لا يظهر فيه العريس، أما أهله من النساء فيأتين محملات بالحنّة والهدايا والملابس للعروس، لا أحد يتحنى الآن، والحنّة تُهدى فقط كتقليد. أمّا حفلة الشباب فهي أروع من حفلة «الحنة» للصبايا، وهي خاصة بالشباب فقط، لكننا نراقبهم من النوافذ حيث يرقصون الدبكة، ويرقصون بالخيل ويحتفلون بالعريس. الأعراس عندنا ممنوع الاختلاط فيها، وينشدون



ويغنون الكثير من الأناشيد الجميلة (علي الكوفية، عالعين موليتين، يا ظريف الطول، دلعونا، وينصتن إلى اليرغول الفلسطيني)

يذهب الأهل لزيارة العروسين في اليوم التالي للزفاف ويسمى هذا اليوم"الصباحية"، أمّا "الإفراد" فهو أن تأتي العروس إلى بيت أهلها ثالث يوم من يوم الزفاف هي وعريسها فقط ومعهم الملبّس والحلوى ويتناولون الغداء على حساب والد العروس، وعادة يذبح خروف على شرف العروسين. أمّا عن قيمة المهر حاليًا مرتفع. المتوسط أربعة آلاف دينار أردني، أي ما يعادل تقريبًا خمسة آلاف دولار، وأحيانًا يصل إلى سبعة آلاف دينار أُردني، العريس مسئول عن تجهيز بيت الزوجية من الألف إلى الياء، فهو بالنهاية بيته، والعروس لها المهر تحضر منه ذهبًا، وهو يختلف عن «الشبكة»، والملابس، ومطلوب منها فقط إحضار أثاث غرفة واحدة فقط، وعادة تكون غرفة الضيوف، ولو كان الأب ثريًّا فهو يقوم بتجهيز تلك الغرفة من ماله ومهرها كله لها تشتري فيه ذهبًا.

أنهيت حواري مع صديقتي ولاحظت ما لاحظتموه، الزوج أيضًا في فلسطين كما هو في المغرب والجزائر هو المسئول عن تجهيز البيت من الألف إلى الياء، وترضى العروس بما يحضره بلا شروط.. ودون أن ترهقه بطلباتها، وأيضًا لا ترهق والدها.



ثم قُمت بإرسال نفس الأسئلة إلى فتاة رابعة من السودان، أرسلت لي طلب صداقة باسم مستعارٍ جميل «السمراء تحب النبي» فأحببتها في الله، وكيف لا أحبّ من تحبّ النبيّ ﷺ!، علمت منها أنّها تدرس الإعلام، فاستبشرت خيرًا وسألتها أوّلًا عن أهمّ ما تشتهر به الفتاة السودانية، فقالت لي: الحشمة والالتزام

وكنت أعلم عن بنات السودان الطيبة وحُسن الخلق، أخبرتني أنّ الخطبة عندهم بسيطة، ربّما لا يقام حفل ويكتفون بتقديم هديّة للعروس "الشبكة"، وهي مكونة من دبلة وسلسلة وساعة!، بعض القبائل تفرض الذهب على العريس، فيقدر بأربعة وستين جرامًا من الذّهب، ولو كان العريس غريبًا عن القبيلة يزيدون القيمة.

العريس السوداني أيضًا مسئول عن تجهيز بيت الزوجية من الألف إلى الياء. والعروس ترضى بما يحضره، لا مشاكل تقريبًا تجاه تلك الأمور. أمّا أهل العروس فيحضرون فقط لأمّ العريس خاتمًا ذهبيًّا، وكذا لعمّاته وخالاته، والجدّة.

في السودان يقدم لأهل العروس مالًا يُسمّى "سد المال" وهو للإنفاق على المأكولات في حفل الزفاف، وتقوم أم العريس وشقيقاته بشراء الهدايا للعروس من ملابس وغيرها ويقدمونها لها. سألتها عن ملابسهن فقالت:

الثوب السوداني للأمهات والمتزوجات، أمّا البنات فيلبسن الخمار أو العباءة وغيرها.

ثُمّ فاجأتني بلون ثوب الزفاف عندهم! فثوب الزفاف السوداني لونه أحمر. وتُبخّر العروس ببخور مميز تعدّه الأمهات يسمى "الكباريت" وتتزين لزوجها.

للعريس يوم للحنّة كما للعروسّ، ويكون قبل الزفاف بيومين، حيث يحضر أصدقاء العريس ويجتمع الأهل ويحتفلون به بعد أن يرتدي هو الآخر الجلباب السوداني، والغريب أنّ بعض الشباب يضعون الحناء على أيديهم! والبعض الآخر يرفض.

غالب أهل شرق السودان لا يقيمون حفلات. فالعريس يأتي ليصحب عروسه في موكب بالسيارات "سيرة" مع "وزير" من أهله، وهو من أعزّ أصدقائه، كما تكون مع العروس "وزيرة" من أهلها، وهي من أعزّ صديقاتها. يشرب العروسان اللبن، ويقرأ العريس سورة "يس" ويدعو أن يبارك الله له في عروسه، ثُم بعد قليل يأخذها لبيتهما. أو يبيتان في أحد الفنادق، ثُمّ يسافران لقضاء شهر العسل. في العاصمة الزواج يكون في الصالات الكبيرة، أمّا في المدن فتكون وليمة كبيرة



يذبح فيها عشرة من الخراف، أو ثور، ويدعى إليها كلّ المعارف والأهل والأصدقاء.سألتها أخيرًا عن مواصفات فارس أحلامها، فأخبرتني أنّها تتمنى أن يكون واعيًا وغيورًا، ومثقفًا ويحبّها، متفقًا معها فكريًّا، يكون جنتها وتكون جنّته. لا بدّ أنّكم لاحظتم ما لاحظته، العريس أيضًا في السودان يتكفّل ببيته من الألف إلى الياء، والعروس ترضى بما يحضره دون أن تشترط، ووددت أن أسألها عن «النيش» لكنني لم أفعل، واكتفيت بالشعور الرائع الذي تركه الحوار معها في نفسي، فأنا أحبّ طيبة أهل السودان، فقد كانت لذكرياتي عن زميلاتي في الجامعة من السودانيات أثر جميل في نفسي، جدده هذا الحوار اللطيف مع السمراء التي تُحبّ النبي ﷺ.

المهم.. من خلال حواراتي تلك وصلتُ إلى حقيقة هامة، الزواج سهل ونحن من نعقده، تلك القوائم الطويلة ليست ضرورية، والسعادة ليست مخبوءة في «النيش»، الاختلاف على قيمة المهر، والذهب، وعدد الغرف، والنجف والسّجاد، كلّها أصنام لا بدّ أن تُهدم، فهناك زيجات انتهت بالطلاق قبل حفل الزفاف بأيّام وكسر معها قلبين.. لا بدّ من وقفة.. يسروا الزواج كما ييسرونه في الجزائر، والمغرب، وفلسطين، والسودان.

***

✍ **منارة حبٍّ**

الحبّ هو: أن تخبرها أن وجهها هو الشيء الذي تتفاءل به وتحب أن تراه صباح كل يوم قبل خروجك من البيت، وأن تكوني جميلة بالقدر الكافي حتى يعود إليك مشتاقًا.

❋❋❋

١٦
ابنتك هديّة !

في مجتمعاتنا الشرقية، تتربى الفتاة على حلمٍ واحد، وهو الزواج. ويغلب في توجيهها من أهلها وخاصّة أمّها بلا قصد أنّ الزواج يعني أن تكونين أمًّا لأبناءٍ تفخرين بهم. يكبر شيئًا فشيئًا الأمر في نفسها، وهي فطرة النساء جميعًا. ويبتلع هذا المعنى واحدًا من المعاني الحقيقية للزواج وهو إعفاف النفس والإحصان والتماس السّكن، وذاك أمرٌ هامٌّ جدًّا.

حبيبتي في الله، زوجك تزوجك ليعفّ نفسه بك، والعكس بالعكس، فهناك حاجة فطرية للسكن والطمأنينة والأنس بالحبيب، تتعجل النساء الإنجاب، فتسعى كلّ منهن للحمل وتدعو ويسألها الجميع بعد الزواج.. هل هناك خبر جميل؟ هل من شيء في الطريق؟

تبدأ بعد شهرين أو ثلاثة شهور من زواجها في المعاناة، أرجل تتورّم وظهر يؤلم، ثُمّ بعد شهور طفل صغير يصرخ فتنشغل به عن زوجها، فلا هي ارتوت من حبّه بعد، ولا هو ارتوى.. وتدور طواحين الحياة.



والعجيب أنّ بعض الأهالي من شدّة خوفهم على ابنتهم ألّا تتزوج يدفعونها للقبول بخاطب قد لا يعجبها، بل ربّما أخبرتهم أنّها لا تتقبله كزوج، لكنهم يدفعونها للقبول به بحجّة أنّها فرصة لا تعوّض، وأنّ الوقت يمرّ!

الفتاة هنا قد تفهم الأمور بطريقة خاطئة فتظنّ أنهم يستثقلون ظلّها ويرون أنّها عالة عليهم، ولا تدرك كيف أنّ القلق ينهش قلب أبيها عليها، فهو يخشى عليها ضربات الدهر وغدراته. فتقبل وتنتقل إلى بيت جديد، لا تشعر تجاه صاحبه بالحب، فتصبّ جلّ اهتمامها في الهدف الذي تربّت نفسيًّا عليه وهو الأمومة، وفور أن تنجب تنحّي زوجها تمامًا من أمام عينيها، ويعيشان معًا وكأنّ بينهما جدارًا صلبًا.

عزيزتي الأُمّ، البنات أمانة، وبين يديك نفس بريئة على فطرتها كالصفحة بيضاء فلا تسطري عليها حلمًا واحدًا فقط، ضفري الطموح في جدائل ابنتك، أطعميها عزّة النفس، واسقيها الكرامة مع الماء. علّميها أنّ الزواج حلم من بين أحلام كثيرة، وليست الأمومة هي الهدف الوحيد، ادفعيها لتقرأ وتتعلم وتتثقف لتتسع مداركها، لا تحبطيها إن أرادت التحليق في سماء الدنيا طالما التحليق في نطاق آمن، أشعريها بأنوثتها فالأنوثة شعور وإحساس، اعلمي أيّتها الطيّبة أن ابنتك ليست وعاءً للإنجاب!، هي روح تحتاج إلى أنيس، وتشتاق

إلى حبيب، وللحبيب حقّ كما أنّ لها حقًّا، ومن ضمن حقوقها أن تختار زوجها بكامل إرادتها. الأمومة نعمة عظيمة. وحبّ الزوج أيضًا نعمة عظيمة. أخبريها أن للعطاء لذّة، وأنّ الأمان لن يغيب لو تأخّر الزواج، حصّنيها بسلاح العلم، وأخبريها أنّ الجمال ليس كلّ شيء، فكم من وجه جميل قبّحته المعصية، وكم من زوجة جميلة انصرف عنها زوجها. علّميها أنّ الثراء ليس السعادة، فقد يغيب المال ويبقى العفاف، وقد تغيب نعم وتبقى أخرى ونحن غافلون عنها لا ندركها إلّا عندما نفقدها أو يفقدها بعضهم أمامنا فندرك أنّها نعمة! علّميها ألّا تكون كعرائس الماريونيت، تنتظر من يحرّكها، فلها عقل ولا بدّ من اتخاذ القرارات طالما ستتحمل المسئوليات، لا تغرقيها فقط في الأمومة ومفاهيمها، وأصول الطبخ وأعمال البيت، فهي لن تغرق وحدها، بل سيغرق معها زوج لم يكن يعلم أنّ الهدف الأوّل والأخير لها هو أن تكون أمًّا وربّة بيت، فهو يحتاج إلى زوجة وحبيبة!، فكوني أوّل من يرعى حبيبته، وأحسني إليها، حتى يطلبها منك فتمنحيه الهديّة، وما أروع أن تكون ابنتك هديّة!

* * *

✍ منارة حبٍّ

الحبّ هو: أن تطوفــ حول الكعبة وهي بين يديك، وتهرول بين الصفا والمروة وهي خلفك، وتسجد هناك وتركع هي بجوارك.

***

١٧
زينة الرجال

دخَل على الخليفة عمر بن الخطاب زوجٌ أشعث أغبر، ومعه امرأتُه، وهي تقول:

لا أنا ولا هذا، فعَرَف كراهية المرأة لزوجها، فأرسل الزوجَ ليستحمَّ ويأخذ مِن شعر رأسه ويقلِّم أظافره، فلما حضر أمره أن يتقدم من زوجته، فاستغربته ونفرت منه، ثم عَرَفته فقَبِلته ورجعتْ عن دعواها.

فقال عمر:

«هكذا فاصنعوا لهنَّ، فو الله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزينَّ لكم»

دائمًا ننصح الزوجة بالتزين لزوجها وننسى أنّها بشر، لها عين ترى فتستحسن الجميل، ولها أنفٌ يعشق الرائحة الطيّبة الزّكية، ولها نفس تشتاق وتشتهي وتعجب بكلّ جميل.



إن عظم حق الرجل على زوجته لا يعني سلب حقها المقابل في حسن العشرة والمعاملة، وقد جمع ذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾

حتى قال ابن عباس- رضي الله عنهما- في تفسيرها:

«إني لأتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي»

راسلتني زوجة تشكو إهمال زوجها لنفسه، وكيف أنّه لا يهتم بأناقته، ولا يلتفت لرائحة عرقه، وكيف أنها تستحي أن تخبره، وكيف تعاني وهي تحاول شراء الملابس له بنفسها. وأخبرتني أخرى كيف تتحرّج من إخبار زوجها أن رائحة الدخّان الكريهة تزعجها، وكيف أنّها تحاول فتح النوافذ وتعطير البيت وإشعال أعواد البخور لتغطي على تلك الرائحة، أشفقت عليها وهي تهمس لي كيف وعدها في أوّل الزواج أنّه سيُقلع عن التدخين، وكيف كان يدخّن في الشرفة في أوّل شهور الزواج، ثُمّ أصبح يدخّن في غرفة المعيشة على ألّا يدخّن في غرفة النوم، وأخيرًا صار يدخّن في كلّ مكان..

لماذا تؤذي زوجتك أيّها الطيب بمظهرك الغير لائق وتطالبها في المقابل أن تتشبه بالحور العين، لماذا لا تقف أمام المرآة وتصلح

هيئتك لتعجبها كما تطالبها أن تفعل، هي سكنك، وسترك، ولباس لك وأنت لباس لها، لكنّها أيضًا تشتهي الجمال مثلك! فمتع نظرها برؤيتك في أحسن حالة واحتسب الأجر.

كان النبي ﷺ ذا لحية كثيفة، وكان يمشطها ويعتني بمظهرها، كما كان من هديه ﷺ كثرة الطيب، والحرص على الرائحة العطرة، فهو يقول:

(حُبِّب إليَّ النساء والطيب)

[صححه الألباني في صحيح سنن النسائي، (٣٩٤٠)]

وكان ﷺ لا يرد الطيب، ويقول:

(من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف المحمل طيب الريح)

[صححه الألباني في صحيح سنن النسائي، (٣٩٤٠)]

يصفه ابن عباس رضي الله عنهما فيقول:

(لقد رأيت على رسول الله ﷺ أحسن ما يكون من الحلل)

[قال الألباني في صحيح سنن أبي داود، (٤٠٣٧): حسن الإسناد]

ويقول:

(رأيت رسول الله ﷺ يخطب، وعليه بردان أخضران)

[صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٢٨١)]

كما يفتن الرجل بالنساء في طريقه، وفي عمله، وعلى الشاشات هنا وهناك، تفتن المرأة بالرجال، وإن لم تخرج للعمل فبعضهن للأسف تتابع المسلسلات وغيرها على التلفاز، ولهذا أمرت بغضّ البصر كما أُمر الرجل تمامًا. فكيف يهمل الزوج في نفسه ويترك زوجته فريسة لوسوسات الشيطان، من حقّها أن يرضيها كما من حقّه أن ترضيه، وحتى إن لم تتابع وتغضّ بصرها وتتعفف.. فهل جزاؤها على صلاحها وتقواها زوج أشعث مهمل في هيئته لا يمسّ العطر أبدًا

من فضلك.. تزّين لزوجتك.

❊ ❊ ❊

✍ **منارة حبٍّ**

الحبّ هو: أن تكون أنت فاكهتها التي تحبّها، وجائزتها التي تنتظرها، وقرّة عينها التي تبهجها، فتدخل عليها السرور بكلماتك، وتطيّب حضورك بأخلاقك وعطرك.

***



١٨
بين الخيال والواقع

تمثل وسائل الإعلام قوة مهيمنة تؤثر على الناس وعلى خيالاتهم وأفكارهم، ورغم أنّ المرء حرّ فيما يفعل، ويرى؛ إلّا إنّها تشكل مؤثرًا فعّالًا في تغيير تفكيره، وبالتالي تغير المجتمع، فأي فرد يستطيع ببساطة الإحجام عن مشاهدة مسلسل عاطفي أو برنامج ما، أو عدم قراءة هذه الصحيفة أو تلك. والفرد ذاته هو الذي يقوم بتحديد واختيار ما يقرأ أو يشاهد، لكنّ الرأي العام يتوجّه دون أن نشعر متأثرًا بما يُبثّ ويشاهد على الشاشات. ومن هنا يأتي الخطر؛ حيث تعتبر أدوات الثقافة السمعية والبصرية الصانع الأوّل لذوق المشاهد.

والشاشة لها نصيب الأسد فقد شوّهت الحقائق لدرجة يصعب على الشخص تصديق سرعة التحول لدى الناس، الحق أصبح باطلًا، والباطل يُروَّج له على أنّه الحق.

بهدوء ومنذ سنوات بدأ الغزو المكثف لإزالة حاجز علاقة الرجل بالمرأة عن طريق لقاء محرم، يوّصف الأمر بأنّه علاقة شريفة، صداقة، أخوّة، حبّ صادق! فتجد المشاهد يتعاطف معهما ويتمنى وهو يتابع أن يلتقي البطل بالبطلة حتى لو كانت لا تحلّ له، حتى لو كانت زوجة رجل آخر.. وقد تحْملُ البطلة عن طريق علاقة غير شرعية وتساق الدراما لتهيئة المشاهد ليتعاطف معها ويقع في نفسه دون أن يشعر أنّ هذا الحمل نتيجة الحب والمشاعر الفيّاضة. لعب بالمشاعر، استدراج، خدعة، وتوغّل خبيث في نفوس المراهقات المدمنات على متابعة تلك الأنواع من المسلسلات والأفلام. لن تسمع بكلمة الزنا والزاني والزانية ولا مرّة واحدة! وإن سمعتها تكون على لسان رجل فظّ وملتحٍ يعالج الأمر بقسوة وعنف ويُلام على تنفير الأبطال من الدين، للأسف على التوازي يتم تشويه النماذج التي يشي ظاهرها بانتمائها لعباءة إسلامية، ترى ما الهدف؟! أظنّ أنّه واضح جدًّا.

وقد يكون العمل مصورًا للحب بطريقة خيالية مبالغًا فيها، فتبني الفتاة قصورًا في الهواء، وتسترسل في أحلام اليقظة بناء على ما رأته في المسلسل، وعندما تعيش حياتها الواقعية يرتطم خيالها بالواقع فتصدم وتخال أنّها محرومة من ذاك الحبّ الذي كانت تراه في ثنايا الأماني وفُرج الأحلام، وتظنّ أنّ هناك غيرها من الفتيات ينعمن بذاك الحبّ وهي لا.

الكثير من المسلسلات أظهرت الأمهات كمعاول هدم، دائمًا الحماة منبوذة ومكروهة، أصبحت الفتيات متأهّبات لأمّهات أزواجهن من قبل أن يتمّ الزواج.

بعض الأفلام تطرح الحبّ بين طرفين من بيئتين مختلفتين، بنت الأكابر وشاب بسيط، أو شاب من عائلة غنية يحب الخادمة، تحل المشكلة في لقطة بنهاية الفيلم، وتختزل كلّ الفوارق في مشهد النهاية، رغم أنّ هذا لا يمتّ للواقع بصلة، فليس انتقاصًا من قدر الفتيات الفقيرات واللاتي لجأن للخدمة في البيوت، ولكنّ من يراهن على الواقع من هؤلاء الشباب لن يركض خلفهن؛ لأنّ كلاهما يختلف تمامًا عن الآخر في طريقة الكلام والملبس والتعبيرات وكلّ شيء، بل الفتاة نفسها ستنصرف عنه لأنّه كما يقولون(مش من توبها)، لكنّ السينما خدّاعة.

المسلسلات الغرامية لها تأثير قوي على المرأة لأنّها بفطرتها عاطفية، وإن كانت الأفلام الإباحية خطرًا على الرجال، فالمسلسلات الغرامية أكثر خطرًا على النساء إن كانت غير هادفة وتشوه الحقيقة، فالمرأة وتد البيت، وإن أصابها السهم في مقتل انهارت خيمة الحياة الزوجية.



ستجد من الدراما تبرير خيانة الزوجة لزوجها بسبب أنه يعاملها بفظاظة، أو ذاك المتشدد دينيًّا والمقصر في الكلام الغزلي أو لأنّ أهلها أجبروها على الزواج منه وهي لا تحبه.. بعض النساء والفتيات للأسف تتعاطف مع الزوجة في هذه الحالة وتبرر لها خيانتها بدلًا من البحث عن حلّ ومناقشة المشكلة لإفادة المشاهد. يلعبون على العواطف.. لن تجد الحلّ، لكنّك ستتعاطف مع أصحاب الرذيلة وربّما لخفّة الدم يتعلّق القلب بهم!

قد يـتأثر أحيانًا الرجل بالإعلام ويعجب بالمرأة الغربية نتيجة لبسها وجرأتها، وفي نفس الوقت لا يقبل هذا من زوجته، فتراه يتخبّط بين ما أعجبه وما يعيشه فيكره زوجته.

تظهر المرأة المحتشمة أنها معقدّة وكئيبة، لن تجد بطلة مؤثرة لأي عمل درامي ترتدي الحجاب، بل أصبح الحجاب يظهر على رءوس الخادمات فقط!

بطريقة ما تتطبع المراهقات بهذا الفكر، فتجدهن ينشأن على اقتناع أنّ التمرّد والتحرر هو السعادة، وأنّ المرأة الجريئة هي الأقوى، حتى ألفاظ الأغاني أصبحت عجيبة، غابت اللغة العربية، وبدأت تتردد على ألسنة البنات والشباب مصطلحات وتعبيرات تدلّ على انحطاط الذوق العام. أصبحت الفتاة الرقيقة والراقية في سلوكها وألفاظها عملة نادرة.

أمّا عن الأسلحة البيضاء فقد صارت لعبة، والتدخين والمخدرات صارا شيئًا عاديًّا، تكرار المشاهد ورؤية الأبطال وهم يسكرون ويشربون جعل الأمر هينًا على البعض، وكأنّ تكراره يخفف من حرمته.

التركيز على المرأة، وجسد المرأة، ورقص المرأة، الرقص الرقص.. حتى في رمضان! وإظهار الحجاب قيدٌ وأغلال، والزواج ظلم وقهر. المرأة التي تُحب زوجها ضعيفة، والتي تطيعه معدومة الشخصية. كلّها لماذا؟

كثرة مشاهدة الأعمال التلفزيونية تؤدي إلى ترسب المواقف التي شوهدت في العقل الباطن، فتكون هي المرجع الفكري لاتخاذ القرارات وأحيانًا تبذر بذرة الشك في نفس الزوج أو الزوجة في حال تشابه المواقف. الخلافات الزوجية يتم مناقشتها عادة بين الزوجين من خلال الموروث المخزون لديهما، فإذا كان هذا الموروث مستقى مما يرى ويسمع ويقرأ في وسائل الإعلام، فإن القرار الذي سيتخذه سيكون متأثرًا بطبيعة الحال بوسائل الإعلام، لكن الزوجين لا يعترفان بأن قرارهما قد اتخذه التلفزيون!

تؤثر وسائل الإعلام أيضًا على مفهوم الجمال ومقاييسه لدى المشاهدين المبتلين بإدمان مشاهدة الأفلام والمسلسلات. تغيرت نظرة الأزواج تجاه جمال زوجاتهم، قرأت في أحد المقالات استطلاعًا عن هذا الأمر جذب انتباهي، حيث تقول سيدة فاضلة متزوجة منذ

عشر سنوات: لكثرة تشبعه بما يرى- تقصد زوجها- فإنه لا ينظر إليّ عندما نتحدث، نعم إنه يغض بصره تمامًا عني قد ينظر إلى الجدار أو التليفزيون أو الأولاد أما أنا فلا. رغم أني لا أهمل زينتي وهندامي، ولكنني مهما فعلت فلن أصل إلى مستوى تأنق وجمال فتيات الفيديو كليب، وليس أمامي حيلة بعد أن استنفدت كل ما في وسعي.

«آدي الستات واللا بلاش».. جملة يرددها زوج فاضلة أخرى عندما يتراءى أمامه ظل فتاة إعلانات أو فيديو كليب! للأسف ترك نفسه فريسة للتلفاز فأبهرته الصور، وعاش يتتبعها.

تقول خبيرة التجميل بأحد الصالونات بأحد أحياء القاهرة الراقية: نعم تأتي إلى الصالون كثير من السيدات، وتكون مطالبهن غريبة لإرضاء أذواق أزواجهن، فهناك من تصر على صبغ شعرها باللون الأشقر كلما نبت سنتيمتر واحد من شعرها الأسود؛ لأن زوجها يحب ذلك. وأغلبهن يستشرنني في كيفية عمل الرجيم- نظام غذائي- القاسي للنحافة، حتى قصَّات الشعر والماكياج، فهذه تطلب قصة شعر فلانة- مغنية مصرية- أو ماكياج فلانة- مغنية لبنانية- والمبرر «أصل جوزي بيحب كده»! «زمان لم يكن الأمر هكذا فالزبونة كانت تطلب مني أن أصنع لها ما يليق عليها، وكانت للأزواج آراء مستقلة غير متأثرة بشكل المغنية فلانة أو.. الخ.



الجمال الحقيقي هو جمال الروح فهذه حقيقة وليس من كلام الفلاسفة، ونحن لا نناقش مسلّمة «أهمية تجمل الزوجة لزوجها» فهذا أمر مفروغ منه إلا أن الإسراف في التشبه بالأخريات أمر مرهق نفسيًّا يجعل الزوجة تفقد معه شخصيتها التي تميزها عن كل امرأة أخرى، بل ويدخلها ذلك في دوامة صراع مع ذاتها، وعدم رضا عنها، وذلك كله بالطبع مرفوض، ببساطة شديدة تسبب وسائل الإعلام الإحباط للمرأة، وزوجها أيضًا لأنه لن يظفر بما يراه على شاشات الفضائيات. راقبوا ما تشاهدونه وما يشاهده أبناؤكم، من أجل حياة لا يشوِّشُها إرسال التلفاز، وخففوا من الخيال حتى ترضوا بالواقع وتستمتعوا به.

***

✍ منارة حبٍّ

الحبّ هو: أن تكونَ هي الخيــال عندما تشتاق إليها، وأن يكون هو الحلمَ الجميل عندما يغيب عنكَ. فمهما بلغت حلاوة الخيال فهي للحظات ثُمّ تزول!، أمّا الواقع فيبقى حلالًا في الدنيــا، وخالدًا في الآخرة.

❋❋❋

١٩
الخرس الزوجي

لماذا يقلُّ الكلام بين الزوجين بعد الزواج؟ كثيرًا ما يُطرح ذلك السؤال، وتكون الإجابات محبطة.

قبل الزواج يكون هناك شوق لاكتشاف المجهول ورغبة من كل طرف في التعبير عن المشاعر للآخر وهو بعيد، لقاء وفرحة ربما مرة كل أسبوع وفراق لأيام طويلة يتخللها رسائل هاتفية ومكالمات طويلة.

شيء يشبه انسكاب الماء وتدفّقه من إناء ممتلئ، فقد تكدست المشاعر لسنوات. أمّا بعد الزواج وبالتدريج تتحول الجمل الطويلة لترجمات تختصر في شيء أعمق، تربيتة على كتف الزوجة بحنان وهي تسير ببطء وقرة عينه ينمو في داخلها وهنًا على وهن، ونظرة رحمة في لحظة صمت منه وهي تتوجع.. أو التفاتة كل دقيقتين ليبحث عنها في البيت.. لغة من نوع آخر!

انتظارها طوال الليل خلف زجاج النافذة بقلق على الزوج الحبيب، وساعات في المطبخ لإتقان صنف ما من الطعام يحبه زوجها... لغة من نوع آخر!

يقول الرافعي في أحد كتاباته الرائعة "تتكلم ساكتة، وأرد عليها بسكوتي، صمت ضائع كالعبث، لكن له في القلبين عمل كلام طويل"

هناك شخصيات لا تجيد التعبير عن نفسها بالكلمات، شريك حياتك الهادئ يحبّك.. فلا تتهمه بالبرود ولا بجمود المشاعر، وفتش عن حبه لك في صمته ونظراته وأفعاله، نحتاج أحيانًا بل كثيرًا أن نفهم الطرف الآخر الذي نعيش فيه ويعيش فينا. ففي لحظة الحب تنفتح بوابة الروح ويحدث الامتزاج والانسجام، هي تفهمكَ من نظرة..كما تَقرؤها ككتاب مفتوح أمام عينيك، لا طلاسم بعد اليوم. ستتلاشى اللغة التي نعرفها، ويتلاشى الزمان والمكان.

ردود أفعالك ومواقف لك تدعمها فيها بحضورك.. لغة من نوع آخر!

ولحظات أخرى لها تحترمين رأيه وترضينه، يراقبك فتقرّ عينه ويفرح.. لغة من نوع آخر!

تلك السَكينة بينكما والصحيفة بين يديك لأن جوارها راحة لنفسك، وكيف لا ترتاح وهي منك وأنتَ منها!،



وتلك الألفة التي لا تحتاج إلى الكلام الكثير والثرثرة المتكلفة ليترجماها فالقلب بجوار القلب؛ لأن التعارف قد تمّ بحق وانسكبت روحك في دمها والعكس بالعكس..لتسكنوا إليها!، هو ليس خرسًا زوجيًّا، بل هو الهدوء.. أو ليس السكن هدوءًا!

وإن غابت المواقف، وغاب معها الكلام في بيت تحتاج فيه الأنثى لمن يُسمعها كلامًا حلوًا فهنا دقّ ناقوس الخطر، قد يكون الكلام غير مهم لك لأنّك لا تحتاجه، لكنّها تحتاجه فلا تبخل عليها بكلمات بسيطة، خصص لها من وقتك ساعة أو حتى نصف ساعة تخبرها فيها عن أيّ شيء.

ولكن دعونا نناقش أسباب الصمت في تلك الحالات التي يغيب فيها الكلام، وتغيب أيضًا المواقف الحلوة، واللغات الأخرى:

قد يكون سبب الصمت ظنّ بعض الأزواج أن ملاطفة الزوجة والحديث معها وملاعبتها يعد انتقاصًا لرجولته، أو سقوطًا لهيبته، وهذا مخالف لهدي نبينا ﷺ، الذي كان يداعب أزواجه ويضاحكهن ويلاطفهن، قال ﷺ :

"كل ما يلهو به الرجل المسلم باطلٌ إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله فإنهن من الحق" رواه الترمذي (١٦٣٧)

أو ربما لوجود فارق عمري كبير بينهما، هي من جيل، وهو من جيل، اختلفت التنشئة والبيئة، والظروف فاختلف الفكر واختلفت

الشخصيتان، لهذا لا بدّ من احتواء الزوج لزوجته والاجتهاد لكي يقيم جسرًا فكريًّا بينهما ويتم التواصل.

أو ربّما بسبب التكبر والتعالي من أحد الزوجين على الآخر، لأنه أكثر تعليمًا، أو أكثر ثقافة، أو يجيد لغة ما، أو حتى لوجود فارق اجتماعي بينهما، فينظر إليه بازدراء فيضطر الطرف الآخر- الأقلّ- للانصراف عنه تفاديًا لتلك الطريقة المنفرة.

أو قد يفهم بعض الرجال مفهوم القوامة على غير وجهها الصحيح فيظن أن القوامة تعالٍ على الزوجة ووضع الحواجز بينه وبينها.

وكيف هذا! وقد قال ربنا عزّ وجلّ في كتابه ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، كما قال النبي ﷺ (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي)

انعدام الكفاءة سبب،

الشعور بالإحباط واليأس لوجود ظلم مستمر سبب،

سوء خلق أحد الطرفين سبب،

الملل والرتابة بالبيت سبب،

الهمّ سبب،

المرض سبب،

موقف واحد تخذل شريك حياتك فيه وتظهره بمظهر غير لائق أمام الأهل أو الأقارب قد يكون سببًا!

ولا بدّ من طرح الحلول، والبحث عمّا يضمّد الجروح، والسعي لتصفية النفوس، المهم ألّا تيأس طالما تُحبّ زوجتك، وطالما تُحبّين زوجك. وأمّا عن الحلول:

- "تجنبوا الجدال عند الغضب"

قال الشافعي ناصحًا زوجته:

خذي العفو مني تستديمي مَوَدَّتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

والسورة هي الغضب الشديد، فلا يخاطب أحدكما الآخر ويجادله وهو غضبان، اصبرا على بعضكما، فالصبر جميل. وكان الشيخ علي الطنطاوي يقول لزوجته:

"إذا وجدتني غاضبًا فلا تقولي أي شيء، حتى إذا مرت ساعة، وآنست مني الهدوء والنسيان، قولي ما شئت وسوف أسمع لقولك، والفرق بينهما أنك في الحالة الأولى كمن يصب البنزين على النار، وأما في الثانية فأنت بلسم وشفاء، وأنت ناصح أمين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر"

- "شاركا بعضكما في الاهتمامات والهوايات"

إن كان زوجك يحب متابعة الأخبار فاجلسي بجواره وأنصتي وأظهري اهتمامك بما يتابعه بعد أن ينتهي، إن كانت زوجتك تحب القراءة فاسألها عمّا تقرأ، أخبرها عن خطبة الجمعة، حدثيه عن ذكرياتك ودعيه يخبرك عنها، أنصتا معًا لشيء ما، اخرجا معًا لأيّ مكان، تناولا طعامكما معًا، استمتعا بقهوتكما معًا.

- "ابتعدا عن الانتقاد المباشر"

ليس هناك داعٍ لجرح الكرامة، أو لتبادل الاتهامات بالتقصير، أو الدقّ على رأس المشكلة مباشرة والإشارة للصمت وقلّة الكلام، بل حاولا حلّ المشكلة من بعيد بطريقة غير مباشرة، فأنت تستطيع استفزاز الطرف الآخر ليتحدث معك بذكاءٍ ولطف، ونصف الحل في الإنصات.

- "ثقافة الاعتذار"

أحيانًا نخطئ فنجرح دون أن نلتفت، فمن الجميل عقد جلسة ودية من آن لآخر لتصفية أي خلافات، «أنا آسف عن أي شيء جرحتك فيه» جملة تريح النفس، قد يبوح لك الطرف الآخر بما آلمه وأوجعه فأنصت باهتمام، وإن لم تقصد فاعتذر.. نعم اعتذر حتى

وإن لم تكن تعلم أنّ هذا الأمر أزعجه، الاعتذار بين الزوجين ليس انتقاصًا للكرامة، بل هو أمرٌ يزيد من تماسك الأسرة، ويعزز الترابط بين الزوجين، وعندما تصفو النفوس يحلو الكلام.

- "تصرَّفي مع زوجك كمذيعة"

كوني أنت البادئة بالحديث معه بلباقة، فالزوج أحيانًا تكون لديه مشاغل وهموم، قد تشغله عن الحديث، أرأيت كيف تتعامل المذيعة مع ضيفها، ابتسامة وأناقة وأسلوب عذب فتدفعه للكلام والتعبير عن النفس، ولا تنتقديه بصورة مباشرة حتى يتعلل بهذا ويمتنع عن الحديث معك.

- "عاملها كطفلتك"

دلِّلْ زوجتك وعاملها أحيانًا كابنتك، اهتم بها كما تهتم بطفلة صغيرة، الدلال من حق الزوجة، اتركها تتحدث على سجيتها، أنصت إليها ولو تحدثت عن أمر تافه، اجعلها تشعر أنّها أميرتك وأنّك متيم بها.

- "كن خفيف الروح"

ابتسم يا أخي، أدخلي يا أختي على أهل بيتك الفرحة، زيِّني بيتك بروحك الحلوة، حاولا معًا إضفاء جوٍّ من البهجة والمرح داخل

البيت، صوت الضحك، المفاجآت، الحفلات البسيطة بلا سبب، والهدايا على غفلة، تلك الكروت الحلوة، والخطابات التي تُخبّأ تحت الوسادة أو على الطاولة تعني الكثير، والوجه الباسم يعني أكثر، وكلمة «أُحبّك» اختصرت كلّ المسافات.. فرددوها لكي تصلوا بسرعة.

* * *

✍ **منارة حبٍّ**

الحبّ هو: ألا تتركها صامتة فتعاني، ولا تتركيه لصمته فيتغرب، وأن تراها عندما تغيب عنك بقلبك وتريه، وترحمها وإن لم تشتكي إليك وترحميه، وتشعر بآلامها، وتبكيك أوجاعه، ويخفق قلبك في صدرها، وتجول روحها في نفسك.

***



٢٠
لماذا نتزوج ؟

لا بدّ أنّ هذا السؤال يتردد في نفسك بعد أن قرأت ما فات من مقالات مختلفة، وددت أن أبدأ به لكنني فضّلت أن يكون قرب نهاية الكتاب. فكّر معي، وفكّري معي.. هل يتزوج الشاب لأنّه يُحب؟ أم لشهوة وحسب! أم يريد فعلًا تكوين أُسرة كاملة ويعمّر في الأرض؟ هل يدرك الشباب والفتيات أنّها مسئولية عظيمة؟ أم يتزوجون فقط حبًّا وهيامًا ويفاجأ كلّ منهم بالواقع وأنّ الزواج ليس أمسية وردية ونزهة للعشاق في بستان وردي.

يقول ربنا عزّ وجلّ في كتابه:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

إن من حكمة الله تعالى أن خلق في الإنسان الشهوة لتستمر الحياة ويبقى النوع؛ لذا فإن الغريزة الجنسية من أقوى الغرائز وأعنفها، وهي تلح على صاحبها لإيجاد ما يسكنها، فما لم يكن ثمة ما يشبعها أصبح الإنسان

قلقًا مضطربًا؛ نظرًا لاحتياجه ولوجود نقص في شيء ما. ولو لم يكن ذاك الميل الفطري موجودًا لانصرف الشباب والفتيات عن الزواج.

ونظرًا لاختلاف الناس، وتباين الشخصيات، واختلاف الأخلاقيات، هذا الاحتياج يؤثر على سلوكه، كالجائع يريد إشباع شهوته فقد يسرق ليشبع هذه الحاجة إن استبد به الإحساس بالجوع لفترةٍ طويلة، وكذا الاحتياج إلى الجنس إن لم يلجمه الشخص بتقوى الله قد ينحرف فيسقط في الزنا والعياذ بالله. فالنكاح على كتاب الله وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلّم هو العلاقة النقيّة الطاهرة التي شرع بها الزواج، والإسلام لم ينكر هذا الاحتياج الفطري بل جعل له أصولًا وحدودًا.

شُرع الزواج للإحصان ولإرواء الغريزة وإشباعها بالحلال فيهدأ البدن وتطمئن النفس، ويتعفف الإنسان ويكف عن التطلع إلى الحرام، والعفة هي اجتناب الرذائل وكبح جماح النفس عن ارتكاب ما لا يرضي الله، يتحصّن الزوجان وكأنّ كلاهما داخل قلعة تحميه من الحرام... يسكن لشريكه «لتسكنوا إليها».

إذًا فتلك الحاجة –أيّها القارئة/ القارئ الكريم– هي من الحاجات الفسيولوجية الأساسية للحياة مثلها مثل الطعام والماء والهواء.



لكن تمهّلوا... البيوت لا تقام على هذا فقط!، فالبيوت تحتاج إلى المودة والحبّ؛ لأنّ الشهوة غير الحب! والحب أكبر وأعلى منها بدرجات، الشهوة احتياج لنوع آخر وحسب، لكنّ الحبّ احتياج إلى نفس وروح وكينونة أخرى، ولو عاش الزوجان بلا حبّ ومودة لانطفأت الحياة، وصارت موحشة مظلمة باردة، فالحمد لله الذي جعل المودة والرحمة بين الزوجين سببًا للسكينة واستقرار البيوت. فنحن نرى بأعيننا كيف تتحول العلاقة بين الزوجين من اللهفة الأولى للقاء إلى المودة والرحمة ويعيشان معًا لسنوات طويلة.

ومن منظور آخر، الزواج صدقة! فالزواج سبيل لقضاء الشهوة ونيل الأجر، فالزوج والزوجة عندما يقضيان شهوتهما فإنها يؤجران على ذلك، قال النبيّ ﷺ:

(..وفي بضع أحدكم صدقة،

قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر!؟

قال:أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه فيها وزر؟

قالوا: بلى

قال: كذلك إن وضعها في الحلال كان له فيها أجر) رواه مسلم



والزواج سبب لطلب الرزق، يقول صاحب الظلال: ولا يجوز أن يكون الفقر عائقًا عن التزويج، متى كانوا صالحين للزواج راغبين فيه رجالًا ونساءً، فالرزق بيد الله وقد تكفل الله بإغنائهم إن هم اختاروا طريق العفة النظيف..

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾

وقال رسول الله ﷺ :

«ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»

حديث حسن رواه الترمذي والبيهقي.

قيل في شرح الحديث إنّ هذه الأمور الثلاثة شاقّة على الإنسان، يكدح ويتعب وإن سعى وحده لن يطيق! لولا عون الله له ما قام بها، فقمع الشهوة التي فُطر عليها بجبلته التي نزلت به أمر صعب وليس هينًا على الشاب، فإذا استعفف واتقى الله أعانه الله بفضله.

والزواج هو اللبنة الأولى لبناء المجتمع، نواة الأسرة، والأسرة تقوم على شركة بين اثنين اختار كلّ منهما الآخر برضا نفس، استشراف لمستقبل ومسئولية تلقى على عاتق الزوجين، رعاية جيل جديد وتنشئته



على قواعد الإسلام، مشروع لزرع عقيدة التوحيد في أنفس خلقها الله مضغة ثُمّ علقة في الحلال، دروس يومية تلقنها الأم لأبنائها، ويشرحها الأب لهم في كلّ همسة ولفتة وشاردة وواردة تصدر منه، راية يحملها جيل من جيل، رسالة مستمرّة، وهي إعلاء كلمة الله وعبادته والإعمار باسمه في الأرض؛ ليكون الزواج أرضًا يُزرع فيها المسلم فينبت ذرية صالحة تؤدي المهمة في زمن آخر.. وهكذا حتى تقوم السّاعة.

❊ ❊ ❊

منارة حبٍّ

الحبّ هو: أن تُحسن اختيار زوجتك وتحبّها، وتحسني اختيار زوجك وتحبيه، لتزرعا معًا- بحبٍّ- طاعة الله في صدور أبنائكما. فالزواج رسالة وأمانة، ويا لها من أمانة!

***

٢١
على الجسر

حان وقت الحديث عن ذاك الجسر بين الحياة والموت، والذي يفصل بين حبيبين، توفي أحدهما، وبقي الآخر ليكمل الرسالة. الفراق صعب، ولكن.. ماذا ستفعل لو عرفت أن تلك الليلة هي الليلة الأخيرة التي سترى زوجتك فيها بجوارك؟ وماذا ستفعلين لو عرفتِ أن هذا السلام السريع على باب البيت هو الأخير ولن تري زوجك مرّة أخرى؟ أعلم أنّ الكلمات صعبة ولكنّها ضرورة. لو علمتَ أنّها اللحظات الأخيرة، ستعانق زوجتك وستخبرها بصدق أنّك تُحبّها، بل وستحقق لها كلّ أمنياتها، ولن تحزنها ولو للحظة لأنّك تعلم أنّها اللحظات الأخيرة! ولو علمتِ أنّها اللحظة الأخيرة ستضمين زوجك بقوّة، وستعتذرين عن كلّ أخطائك، وربّما ستبذلين كلّ جهدك لإرضائه بأيّ شيء يطلبه، ستشمين عطره بقوّة وكأنّك تختزنين بعضًا منه داخل قفصك الصدري لعلّك تأنسين به بعد رحليه. لكننا لا نعلم،

ولا ندرك متى الفراق، ولا بدّ من الفراق.. فكلّنا سنعبر الجسر. والحياة لن تتوقف إن عَبَر أحدكما وترك الآخر وحيدًا.

كتبت الدكتورة «عائشة عبد الرحمن» أو «بنت الشاطئ» في سيرتها الذاتية والتي أسمتها (على الجسر بين الحياة والموت) عن زوجها الدكتور «أمين الخولي» أستاذها وزوجها المقرب إلى نفسها وروحها حسبما يستشعر أي قارئ لسيرتها الذاتية؛ قائلة:

«على الجسر ما بين الحياة والموت، أقف حائرة ضائعة في أثر الذي رحل، أطل من ناحية فأجده ملء الحياة، وألمح طيفه الماثل في كل من حولي وما حولي من معالم وجودنا المشترك، وأتتبع خطاه على دربنا الواحد، دفاقة الحيوية، سخية العطاء، وأميِّز أنفاسه الطيبة الزكية في كل ذرة من هواء أتنفسه، وأصغي إلى نجواه في الصمت وفي الضجيج، وفي سكون الخلوة، وفي صخب الزحام، وأطوف بأجواء عالمنا الرحب الذي ضمنا معًا، فلا أتصور أنه الراحل الذي لا يعود..

إلى أن يحين الأجل سأبقى محكومًا عليّ بهذه الوقفة بين حياة وموت، أنتظر دوري في اجتياز الشوط الباقي في إثر الراحل المتيَّم. عليك سلام الله.. إن تكن عبرت إلى الأخرى فنحن على الجسر»

من أروع ما تحفظ لنا أوراق الكتب ما كُتب عن المشاعر الإنسانية بعد اكتمال التجربة، قصّة واقعية تنفّس أبطالها الحياة قبل أن تتنفس حكاياتهم على الورق، ومهما كان الكاتب موهوبًا فلن يصوغ بخياله قصصًا تفوق روعة القصص الواقعي. كتبت الدكتورة بنت الشاطئ عن زوجها بعد رحيله، فأبدعت في وصف الحبّ، وغزل الحب، وكيف أنّهما روح واحدة تمثّلت في جسدين، فأخبرتنا كيف كانت وكيف عاشت، ورأينا مسيرتها بعد وفاة حبيبها قرّة عينها.

عاشت الدكتورة عائشة بعد وفاة زوجها ولم تتوقف الحياة!، مات ابنها الأكبر «أكمَل» وتوفيت ابنتها «أمينة» في أعقاب عملية جراحية، وهاجرت ابنتها الثالثة مع زوجها، الأمر الذي جعل هذه الأستاذة الجليلة تعاني الوحدة، والجحود، سواء على المستوى العلمي أو على المستوى الإنساني، عانت بنت الشاطئ مما تخرّ له الجبال الرواسي، ولكنّها كانت تستصغر الدُّنيا، فلم تبك على شيء منها قط، وإنّما بكت على فقد الأحبة. ثلاثون عامًا بعد وفاة زوجها عاشت فيها من كبريات الزاهدات في الدُّنيا كلِّها.

لم تتوقف عن العمل وتركن لليأس وتختفي في زاوية ما من بيتها تبكي، بل تركت بصمة واضحة على الصعيد الفكري الديني، والثقافي الإسلامي، ولم تركن للظروف ولا للمعوقات، وإنما عودت نفسها

على الكفاح والجد، وعدم التسليم للتقاليد المميتة، وامتلكت رؤية خاصة بها فمضت تطلب العلم، وتوسع مداركـ أفقها لأبعد الحدود، وتلتقي بأهل العلم، وتتمسك بدينها، وتثق بربها، حتى غدت أنموذجًا للمرأة المسلمة العالمة التي نفتقد وجودها في أيامنا.

ربّما عبر زوجك الجسر، وأنتِ الآن وحيدة فلا تتوقفي عن العطاء، ولا تنسي أنّك هنا على الأرض لتعمري فيها فكلّ لحظة في حياتك كنز فاشغلي نفسك وقدّمي لآخرتك عملًا يسرّك هناك.

وربما عبرت زوجتك الجسر، وأنت وحيد فاستمسك واتخذ من ذكر الله دواءً يطبب فؤادك المكلوم، وضمّده بآيات من كتاب الله لتشفى روحك. الفراق صعب، لكنّك ستفارقنا أنت أيضًا لا ريب، وحتى أنا وكلّ من يقرأ.

أمّا أنتم يا من تنسون الجسر، اغتنموا اللحظة، ولا تنتظروا الغدّ، فالله عزّ وجلّ منحكم فرصة جديدة، أسرعوا الآن ولو أساء أحد منكم لشريكه فليسارع إليه ويعتذر له، فليس لدينا وقت، ونحتاج لذاك السلام الداخلي لتستقر البيوت، ولتكن كلّ لحظاتكم صافية، بلا خلافات، ولا نزاعات، تعاهدا على الحب وافترقا عليه ولتلتقيا عليه.

فقد لا يأتي الغدّ، وربمّا تندم لأنّك لم تبتسم ولم تعانق ولم تقبّل رأس شريك حياتك وحلالك. حتى وإن شغلتك الحياة؛ فابحث عن وقت.

«أنا آسف» ليست ثقيلة على اللسان إن خرجت من القلب، «سامحني»، «أحبّك»، «اغفر لي تقصيري»، «ارض عني»، «سامحيني»، «حبيبتي»، «صغيرتي»، «قرّة عيني»، «زوجي الغالي»، «زوجتي الحنون»، «أنا مغرم بك»، «أنتِ جميلة»، «أنت رائع» كلّها سهلة فلا تبخلوا بها.. قبل فوات الأوان، وقبل أن تصلا إلى الجسر!.

***

✍ منارة حبٍّ

الحــبّ هو: أن تعيش فــي قلبها وإن غبت، وتتردد أنفاسها في صدرك وإن غابت. والكلام لا ينتهي عن الحب ولن تحتضنه أبدًا السطور.. فالحياة طويلة. ولن تضمه الكلمات فالحب عريض، والحب في الله لا منتهــى له إلّا هناك.. تحت العرش حيث تُسـبّح الكلمات.

* * *

٢٢
تفّاحة آدم

هذه القصة حدثت بالفعل، ولا يزال بعض أبطالها يتنفّسون الحب..

"تفاحة آدم"

لم يكن"آدم" يعلم أن صداقته لهذا الشاب المصري- والذي يدين بمثل دينه- ستكون هي السبب،

لا زال يذكر صوته على الهاتف وهو يقول له بمرح:

- لابد أن تفكر في زيارة مصر يا "آدم"، تعال معي وستقضي وقتًا ممتعًا معنا في المنصورة.

أجابه "آدم" بلطف:

- وهل حقًّا مصر بلد جميل ويستحق الزيارة؟

ردّ صديقه بثقة قبل أن يودّعه:

- جرّب بنفسك..

أطرق "آدم" يفكّر، هل لابد من زيارة مصر أم من الأفضل أن يسافر في أجازته إلى مكان آخر، فهو فعلًا يحتاج للاستجمام والراحة، فعمله كضابط حربي في كندا مرهق جدًّا..

مرّت أيام قبل أن يتخذ القرار، وقام بالفعل بمهاتفة صديقه وأخبره أنه سيسافر معه إلى مصر..

تذكرة بسرعة ثم جواز السفر، حقيبة، ملابس،.. هيا بنا.. إقلاع، ثم هبوط.

كانت الصورة التي يعرفها عن مصر أنها صحراء، رمال صفراء، جوّ حار، وبعض العرب يجرّون الجمال

لكنه فوجئ بالحقيقة! هي ليست كذلك إطلاقًا.. ولكنها تبقى ذات نكهة خاصّة!

اصطدمت عيناه ببعض السلبيات، ولكنه لم يتمكّن من إخفاء انبهاره بآثار مصر الفرعونية القديمة. حضارة قديمة لوثها البشر.

أعجبته الشوارع، وفُتِن بروح الأسرة المصرية، الوجوه الباسمة، البساطة، الودّ الواضح في تعبيرات وجوههم وهم يتحدثون إليه..

صوت الأذان الذي جذب انتباهه، مآذن المساجد، الأضواء المضاءة ليلًا ونهارًا أيضًا ولا يدري لماذا!

رائحة المقاهي، أصوات الباعة الجائلين، ورائحة الفول... إنها مصر.

تلك الضجّة وهذا الصياح الممزوج بضحكات عالية والذي لا يخلو منه شارع، اضطر إلى الذهاب إلى أحد المصالح الحكومية فكان اللقاء الأول.. وقف حائرًا أمامها يسأل بارتباك عن أوراقه، قامت بحياء وتنحّت جانبًا لتسمح لأحد الرجال بالعبور من الباب!.. لا تريده أن يلمسها. اقتربت بحجابها الفضفاض وكأنها تطير بجناحين حريصة عليهما، وكأنها فراشة تخشى من خربشات البشر، تحدّثت إليه بأدب جمّ وانضباط، وحيّرته بطريقتها.. عيناها الجميلتان تنظران إليه خطفًا، وتغضّهما سريعًا وبحياء.

صوتها مسموع.. لكنه لا يخضع، يداها تتحركان أمامه.. لكنها لا تلمسه، تقدّم إليه العون.. ولا تريد منه شيئًا!

لماذا نظراتها لا تشبه نظرات كلّ النساء اللاتي التقيت بهن من قبل!



أخبريني من أنت..؟ ما اسمك؟

- "خديجة"

- شكرًا يا "خديجة" أنت حقًّا رائعة!

رحل وترك معها قلبه، وكان لابد من عودة مرّات ومرّات لإنهاء الأوراق.

سألها بكل صراحة وببساطة:

- هل تقبلين الزواج مني؟

أجابته باستنكار:

- وكيف هذا!! أنا لا أستطيع الزواج منك أبدًا؛ لأنني "مسلمة".

تركها والأفكار تدور كطواحين الهواء في رأسه

"مسلمة.. إسلام.. خديجة.. قلبي.. عيناها.. أحببتها.. لماذا"

ورحل عن مصر، وقد أصيب قلبه بضربة من تلك الضربات التي لا تحدث كدمات ظاهرة للعين لكنّها تبقى موجعة.. واستقبله ألم الفراق على أعتاب وطنه فعاش فيه غريبًا. حاول أن ينساها وتزوج من أخرى من كولومبيا، وأنجب منها فتاة جميلة أطلق عليها اسم "آنا"، ضحكات الصغيرة"آنا" لم تمنعهما من الشجار، نظراتها الحلوة لم

تحجب مرارة الأيام، حتى وهو يحملها على صدره لم تتمكن بذراعيها الصغيرين من منح أبيها بعضًا من السكينة التي كان يبحث عنه.. عاد للتفكير في "خديجة" والتي لم ينْسَها أبدًا، كان الفضول لمعرفة المزيد عن دينها الذي جعلها ترفضه يسيطر عليه، قرر أن يتواصل معها مرّة أخرى فلجأ لصديقه النصراني، وهاتفه قائلًا:

- اتصل بأهلك أو أرسلوا من يأتيني برقم هاتفها.. أريد أن أتحدث إليها،أحتاج هذا بشدّة.. أرجوك.

وبدأ البحث عنها، وسريعًا ما كان رقم هاتفها بين يديه.

رنين جرس الهاتف، كان يخترق أذنيه بينما دقات قلبه تتسارع لتسابقه.. ردّت أخيرًا:

- السلام عليكم

- خديجة.. من فضلك حدثيني عن الإسلام

- حسنًا. ولكن ليس على الهاتف!، لابد أن تعود لمصر.

- نعم، سأعود قريبًا..

وعاد"آدم" وذهبت"خديجة" للقائه مع شقيقتها في مكان عام، أحسّت أنها قد كلفت بمهمة خطيرة، إنها تحمل له الإسلام..

أخذت معها فكرًا ولسانًا ومنطقًا مقبولًا وتطبيقًا صادقًا لتعاليم دينها، والكثير من الكتب.. دقّ قلبه وأسعده اللقاء بها، وجلس ينصت باهتمام لكلامها عن دينها الذي تحبه، استطاعت أن تشرح له ثوابت الإسلام لأنها بكل بساطة تطبقها وتفعلها! تركها وحمل الكتب وهو لحبها أكثر ميلًا من حبّه للإسلام،

ولكن... وبعد أن انفرد بنفسه مع ترجمات القرآن، دار في صدره حوار ذّاتي وتسرّب اليقين إلى فؤاده، وبعد أن جلس يقرأ، ويقرأ، ويقرأ اكتشف أنه الآن فقط..... وجد الطريق.

زلزال داخلي هزّ أركانه، وطرح كل شائبة كانت عالقة في صدره..

ارتعشت ملامح وجهه وهو يقرأ معاني الآيات.

أجاب الإسلام على كل سؤال كان يحيره، لامس القرآن كل موطن أوجعه في عقيدته يومًا ما، فمسّد عليه وطببه.. شعر أنه الآن في سلام، انشرح صدره وبكى كثيرًا، وبدأت البشريات..

تلك الارتعاشات الأولى وهو ينطق الشهادتين، وهذه العبرات التي انهمرت كالشتاء الدافئ، وصوته الذي كان يتلجلج في صدره.. وأخيرًا لسانه الذي لفظ بصعوبة وبحروف متكسّرة:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله

وصارت"خديجة" تفّاحة "آدم" التي أدخلته لجنّة الإسلام. ومرت أيام، واقترب موعد رحيله وكان السؤال مرّة أخرى:

- هل تقبلين الزواج مني يا"خديجة"؟

أجابته بفرحة:

- نعم أوافق. ولكن.. لابد أن يوافق أبي أولًا، وانطلقت إليه.. ترجوه وهو يخاف.

- أبي، أرجوك.

- يا حبيبتي، لا أستطيع أن ألقي بك في غربة لا أعرف عنها شيئًا، وأخشى أن يرْتَدّ عن الإسلام فيؤذيك.

- يا أبي، أرجوك.

- أين ستذهبين وتتركيني يا قرّة العين!.

- أبتاه، رفقًا بقلبي...

- له زوجة أخرى يا "خديجة".. ألا تخافين!

- أبي، أرجوك.



- لا. لن أوافق أبدًا

وعاد"آدم" إلى كندا بفرحة يشوبها الألم، فرحة بإسلامه، وألمٌ لفراق "خديجة"، وعاد للخلاف مع زوجته الكولومبية، وأخيرًا طلّقها وصار وحيدًا.

أرسل إلى "خديجة" مرّة أخرى، وما زالت تلح على أبيها أن يوافق على زواجها من "آدم"، تلاحقه بالبيت..

- أرجوك يا أبي..ليثبت على دين الله

- لا

- حتى أنال الأجر يا أبتاه

- لا، لا.

- أنا أدرك ما أنا مقبلة عليه، وسأتحمل المسئولية كاملة يا أبي، اتركني لله، احتسبني في سبيله، أنا لله

- لا..لا..لا

وبعد حوارات طالت لأيام وشغلت ليالٍ طوالا، وافق أخيرًا على زواجها من"آدم"على أن تدرس في كندا في جامعة ما، وترتقي بنفسها حيث لا يقلق عليها.. وطارت "خديجة" إلى هناك.

طافت السعادة في نفسها أخيرًا، وسكنت إلى زوجها كما يسكن الطير الغريب للعش الهادئ

وتزوجها في حفل بسيط، بعيد تمامًا عن حلم كل فتاة أخرى. لكنّه كان حلمها الوحيد.

التقى الحبيبان أخيرًا، وذاقا معًا رحيق الحب وأمطرهما الله بالرحمات

أصرّت خديجة أن تقيم مع أهله ببيتهم، ابتسمت في وجوههم، أضحكتهم، صلّت أمامهم، رحمت أم زوجها التي كانت في شهور حملها الأخيرة !!

وعاونتها في أعمال البيت، ولم تخلع حجابها أمام أشقائه الرجال

تعجب أخوه وناداه لينزوي به في ركن الغرفة ومال عليه برأسه وسأله بفضول:

- ما هذا؟

- حجاب

- ولم تغطي شعرها أمامنا؟

- لأنها لي فقط. هي تخصّني وحدي، وهكذا أمرها الله...إنه الإسلام!



ابتسم شقيقه وقد أعجبه الكلام وجلس يثني عليها وعلى أخلاقها، وراقبها وهي تعامل أخاه "آدم" بحب واحتواء.

أطلق"آدم"لحيته فبدأت معاناته في عمله بسبب إسلامه فقرر أن يترك هذا العمل..

وضعت أمه مولودة جميلة، ووقفت "خديجة" مع "آدم" وهو يؤذن في أذن شقيقته"سميّة" اليمنى ويقيم الصلاة في أذنها اليسرى، اقشعرّ بدنه ورقّ قلب"خديجة" وحملت الصغيرة واحتوتها في حضنها.. هي أيضًا تتمنى أن تكون أمًّا، ويؤذّن هو في أذن أبنائها. أسلم شقيق "آدم" واختار اسم"يوسف" ثم أسلمت"زوجته"، وبعدها أسلم الآخر واختار لنفسه اسم "مصعب"، وأطلّ الإسلام مشرقًا، جميلًا، من بيت حملته إليه "خديجة" في قلبها ودعتهم إليه بذكاء. تأخّر حملها فصبرت وثبتت، وبدأت تبحث عن جامعة لتدرس بها هناك. اختبارات وتقييم ودراسة حتى قررت أن تدرس طب الأسنان..

وبالفعل بدأت رحلتها الدراسية، سافر"آدم" للعمل في فرنسا وطال غيابه، فقلقت على دين زوجها فنصحته أن يتزوج من فرنسية من المسلمين الجدد من غير العرب لتعفّه وربما تنجب له طفلًا جميلًا.

وظلّت تلح عليه

ماذا تفعلين يا"خديجة"...!! تزوجينه بنفسك!!

يبدو أن هناك حبًّا أكبر من حبّ "آدم" في قلبك، الآن كشفت الحجب عن فؤادك يا طيبة القلب،

يبدو أنك تشبهين"خديجة"..يا..."خديجة"!.

وتزوج "آدم"بالفعل من فتاة فرنسية من المسلمين الجدد والمفاجأة أن بعد زواجه رزقت خديجة بحمل مبارك وأنجبت"محمدًا"

كانت سعادة"آدم"بابنه لا توصف.. ولسان حاله يقول:

- وأخيرًا قطعة من حبيبتي بين يديّ وتحمل اسمي... الله أكبر.

بدأت المشاكل مع زوجته الفرنسية والتي أصرّت على عدم ارتداء الحجاب ولم تكن يومًا مثل "خديجة" مما أصابه بضيق شديد، علمت "خديجة" فطلبت منه أن يحضرها لتقيم معها بالبيت لتثبتها على الإسلام... لكن الأخيرة غارت من خديجة غيرة شديدة، وخاصّة بعد أن رزقت "خديجة" بحمل آخر وأنجبت "ليلى" الجميلة.. فغضبت ضرّتها وطلبت الطلاق.. وتم الطلاق، ثُمّ اكتشف"آدم" أن طليقته حامل.. وأنجبت لاحقًا"إبراهيم" الذي ظلّ أبوه قلقًا على دينه لفترة طويلة. نصحته"خديجة"

أن يردّها ليكون "إبراهيم" أمام عينيه، لكنها رفضت لأنه اشترط عليها أن تتمسك بتعاليم الإسلام والحجاب وتكون مثل "خديجة"، وبقي ابنه معها. توفي والد آدم على غير الإسلام فحزن حزنًا شديدًا، وقرر دعوة أمّه للإسلام لينقذها من النار قبل فوات الأوان.. وظلّت ترفض، بدأت خديجة تسأله أن يحضر "آنا" و"إبراهيم" لتعلمهم الإسلام..

-"آنا" تعالي يا حبيبتي،"إبراهيم" اجلس بجوار"محمد"هنا.. أحبكم كثيرًا.

بالحب علمتهما!

مرّت أعوام وتخرجت خديجة من كلية طب الأسنان، وبدأت تعمل في عيادتها الخاصّة لعلاج الفقراء من الهنود والمكسيكيين لتدعوهم إلى الإسلام.

أسست"خديجة"جمعية للأيتام، وبدأت تبحث عن المسلمين الجدد لتساعدهم. اهتمت بمجهولي النسب حيث كانت الكنسية تحاول التخلّص منهم فتأخذهم الأسر الهندوسية لترعاهم... وتوسّعت وبدأت تعلمهم القرآن، ومرّت السنون وبدأت الجاليات تنضم لجمعيتها وأصبحت أكبر جمعية في الولاية.

سافر أشقاء آدم إلى ألمانيا "يوسف" الذي صار له أربعة من الأبناء و"مصعب" الذي أنجب طفلين واستقرا هناك وتزوجت أخته التي أسلمت من إمام مسجد هناك. توسّع آدم في الدعوة وبدأ نشاطه في كندا وإنجلترا وكولومبيا وشغل في الكثير من المؤتمرات والندوات، أصبحت الأسرة كلها دعاة للإسلام

تزوجت "آنا" ابنة "آدم" في فرنسا من شاب مسلم. انتقل "إبراهيم" من فرنسا وأقام مع زوجة أبيه التي يحبها "خديجة" وشقيقه "محمد" وشقيقته "ليلى" في كندا

أخيرًا.. أصبح "آدم" مطمئنًا على أبنائه جميعًا؛ لأنهم في حضن الإسلام. وبدأت "خديجة" تخرج وتطرق البيوت وتحمل المال والمساعدات إلى بيوت الفقراء كل شهر، وكانت تلازمها كظلها شقيقة زوجها "سميّة" والتي أنجبتها حماتها بعد انتقالها معهم في بيت وأذّن "آدم" في أذنها.

كانت "سمية" تحب "خديجة" جدًّا، واتخذتها قدوة لها، وفي أحد الأيام، قررت "خديجة" أن تجهّز مجموعة كبيرة من المصاحف وتحملها للمسلمين الجدد من الهنود والفقراء في أحد المناطق البعيدة، سافرا بالفعل وقاما بتوزيع المصاحف. وبقيت كمية بسيطة، وكان الجو باردًا جدًّا، فاتفقا على العودة في وقت لاحق لإكمال التوزيع.



إعصار شديد.. سيول هائلة.. لا نرى الطريق.. ما الذي يحدث؟.. ما هذا؟!.. انقلبت السيّارة

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدًا رسول الله

ماتت الحبيبة"خديجة" ومعها حبيبتها"سمية"

ماتت بعد أن أنارت ل"آدم"الطريق وأرشدته إلى البداية وتركت معه قرّتا عينها "محمد" و"ليلى" وقد علّمتهما الكثير، ماتت وقد كان زواجها بداية إشراقة جديدة لنور الإسلام في غربة هاجرت إليها وحيدة. ماتت بعد زواج مثمر نسأل الله أن يثقلّ به ميزانها.

انفطر فؤاده وبكاها كثيرًا، لم يَطِبْ جرحه إلا بعد أن قرر أن يكمل الطريق، قرر أن تستمر الدعوة التي أطلقت "خديجة" إشارة بدايتها عندما وقفت أمامه بحجابها في عزّة وحياء فلفتت نظره وتركت لديه بصمة عميقة جعلته يتساءل..

من هي؟ ولماذا حجاب!.

لا زالت أمه على غير الإسلام، وما زال يبكي خوفًا وإشفاقًا عليها.

مرضت أم "آدم" مرضًا شديدًا ودخلت في غيبوبة أفاقت منها مرّة، فدخل عليها"محمد" ابن "خديجة" فأسلمت أخيرًا على يديه ليصبّ هذا كلّه في ميزان "خديجة"



كانت بداية الحكاية حجابًا تحبّه فتاة جميلة اسمها "خديجة" وتلفّه حول وجهها لإرضاء ربها..

وما زالت حكايتها مستمرّة وكأنها بسطت حجابها ليسيروا جميعًا عليه وتطأه أقدامهم لجنّات العلى والكلّ يلهج لسانه بالشهادتين..

بناتي الحبيبات، لا تتزوجن لمجرّد الزواج، ولا يكن هدفكن فستانًا أبيضَ وزوجًا وسيمًا فقط، وليكن الطموح الجنّة.. وعينٌ على الآخرة.

اللهم ارحم "خديجة" وأمنا "خديجة" رضي الله عنها وأرضاها، وكل "خديجة" على وجه كوكب الحب، واجعل لبناتنا حظًّا من الأجر، وعلمهن يا ربنا كيف يتخذن نيّة في زواجهن، وكيف تكون كلّ منهن منبرًا في بيتها يدعو إلى الإسلام، وأن تكون هي تفاحة آدم التي تدخله الجنّة بطاعتها لله فيه زوجًا ارتضته وسارت على الدرب معه.

(تمّ نشر تلك القصّة الواقعية على حسابي على موقع الفيسبوك حيث قرأتُ عنها على صفحة الدكتور "محمد صلاح" فكتبتها في صورة قصّة قصيرة، فقدّر الله أن تقرأها ابنة خديجة وزوجها، ولم أكن أعرفهما، فراسلتني ابنة خديجة رحمها الله، وشرفوني بتسمية فتاة صغيرة من الأيتام في الدار باسمي والتي يشرفون عليها استكمالًا لما

بدأته "خديجة"، وأرسلوا لي صورتها الجميلة، أسأل الله أن يحفظ الصغيرة وينبتها نباتًا صالحًا حسنًا، وأن يجزيهم و"خديجة" عني خيرًا، اللهم إني أشهدك أنني أحبّ خديجة وابنتها في الله، فاجمعني بهما تحت ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلّا ظلّك)

❊ ❊ ❊

منارة حبٍّ

الحبّ هو: أن يكون حبّ الله أكبر من حبكما لبعضكما، فحبّه سبحانه وتعالى هو الأصل.. الله أكبر.

***



الفقيرة إلى الله

حنان لاشين

شكر وتقدير

شكر جزيل وعرفان بالجميل لكل من كان لهم فضل لكي يخرج الكتاب بهذا الشكل، شكرًا لإخواني وأخواتي:

أسماء لبيب

وسام نبيل

د.محمد فؤاد

مى التونى

فهرس المحتويات

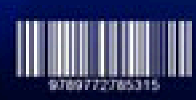
مناراتُ الحبّ

الزواج ليس معركة فيها قائد و مقود ، الزواج علاقة إنسانية جميلة تشبه السفينة في قلب المحيط الذي أحيانًا تكون أمواجه هادئة وأحيانًا أخرى تكون أمواجه عاتية ، و لكي تبحر السفينة في خضم محيط الحياة حتى تعبر نحو شط الأمان لا بد من منارات تضيء الطريق ...

ولتكن منارات الحبّ هي البداية.



تصميم الغلاف : مي النوفلي





دار البشير للثقافة
تليفون : ٠١١٥٢٨٠٦٥٣٣ - ٠١٠١٢٣٥٥٧١٤
Websit : www.darelbasheerealla.com
Emails : darelbasheerealla@gmail.com | darelbasheerealla@hotmail.com